



وزارة التعليم العام

جمهورية السودان
وزارة التعليم العام

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي



بخت الرضا

الدراسات الإسلامية

التعليم الثانوي

الصف الأول الثانوي



جمهورية السودان
وزارة التربية والتعليم
المركز القومي للمناهج والبحث التربوي
بخت الرضا

الحركات الإسلامية الإسلامية

الصف الأول الثانوي

الطبعة الثانية المنقحة ٢٠٠٩م

المشاركون في التأليف :

الأستاذ الدكتور : محمد عثمان صالح

الأستاذ : عبد الباسط عبد الماجد بشير

المشاركون في التأليف والتنقيح والتطوير :

الأستاذ : محمد كوكو عطا الجيد

الدكتور : عثمان ميرغني علي

الأستاذ : محمد عبد الرحيم باسان

المشاركون في التنقيح والتطوير :

الدكتور : طه محمد نور الدائم أحمد

الدكتور : أحمد الحاج النور الزاكي

الأستاذ : منتصر البشير سيد أحمد

الأستاذ : محمد يحيى صديق

الإخراج الفني والتصميم :

الأستاذ : إبراهيم الفاضل الطاهر

أ. إقبال يوسف أحمد

تصميم الغلاف :

الأستاذ : الرفاعي عبد الله عبد المهيل

الجمع بالحاسوب :

حمد النيل يوسف

حافظ محمد إبراهيم

مدير مركز أبحاث الإيمان

خبير تربوي

مختص بالمركز القومي للمناهج والبحث التربوي

كلية الشريعة جامعة أمدرمان الإسلامية

كلية التربية بجامعة أمدرمان الإسلامية

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

جامعة الزعيم الأزهري

معلم بالمرحلة الثانوية

موجه بولاية الخرطوم

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

جميع حقوق الطبع والتأليف ملك للمركز
القومي للمناهج والبحث التربوي . ولا يحق لأي
جهة، بأي وجه من الوجوه نقل جزء من هذا الكتاب
أو إعادة طبعه أو التصرف في محتواه دون إذن كتابي
من إدارة المركز القومي للمناهج والبحث التربوي.

ردمك : 6-61-53-99942-978

موقع المركز القومي للمناهج والبحث التربوي

بخت الرضا

www.nccer.edu.sd

المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	■ المحتويات
ج	■ المقدمة
	الباب الأول - علوم السنّة :
١	■ تعريف السنّة
٤	■ حجّة السنّة ومكانتها في التشريع
٧	■ كتابة الحديث النبوي
١١	■ تدوين الحديث
١٤	■ علوم الحديث
١٩	■ علم مصطلح الحديث
٢٣	■ الحديث المقبول والمردود
	الباب الثاني - فقه الأسرة :
٣٠	■ الأسرة في الإسلام
٣٤	■ تعريف الزواج
٣٨	■ اختيار الزوجة والزوج
٤٠	■ الخطبة
٤٤	■ المحرمات من النساء
٥١	■ أركان الزواج
٥٨	■ كراهية المغالاة في المهور
٥٩	■ وليمة العرس

٦٠	▪ الحقوق الزوجية
٦٥	▪ الطلاق
٧٠	▪ أقسام الطلاق
٧٦	▪ من يوقع الطلاق
٧٩	▪ العدة
٨١	▪ الإحداد
٨٣	▪ حق الطفل في التربية والتنشئة والتعليم
	الباب الثالث - السيرة النبوية :
٨٩	▪ أهداف دراسة السيرة
٩١	▪ صفات الرسول - ﷺ البشر
٩٩	▪ الرسول قدوة
١٠٤	▪ الأخلاق المحمدية
١١٩	▪ الرسول في أسرته
١٣٧	▪ الرسول العابد
	الباب الرابع - النظام الاجتماعي في الإسلام :
١٤٣	▪ النظام الاجتماعي في الإسلام
١٤٧	▪ أسس التربية الروحية في الإسلام
١٥٢	▪ مقومات المجتمع الإسلامي
١٦٣	▪ حقوق الإنسان في الإسلام



الحمد لله رب العزة والجلال ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة
للأنام ، وعلى آله وصحبه ومن والاهم إلى يوم الدين . وبعد
قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ
أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ
كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (آل عمران : ١٦٤) . وقال رسول الله ﷺ :
(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) أخرجه أصحاب السنن.
الإخوة المعلمون والمعلمات والأبناء الطلاب والطالبات.
لقد تمّ تأليف كتاب الدراسات الإسلامية للصف الأول الثانوي على
أساس ما درسه الطلاب في مرحلة التعليم الأساسي ، وما تشهده المدرسة
الثانوية من تغيرات في شتى مناحيها.
ويحتوي هذا الكتاب على أربعة جوانب من العلوم الإسلامية وهي :
أولاً : مدخل لدراسة السنة النبوية أعظم العلوم قدراً - بعد القرآن الكريم -
ليقف الطلاب على جهود علماء المسلمين في تدوين السنة وحفظها ، بجانب
معرفتهم لمبادئ مصطلح علم الحديث الذي كان لعلماء المسلمين قصب السبق
في وضعه وتطوره.
ثانياً : معلومات أساسية عن فقه الأسرة ، التي هي اللبنة الأساسية في تكوين
المجتمع المسلم ، والتي يتوقف عليها بقاؤه وتماسكه.

ثالثاً : مقتطفات من كتب السيرة ، تظهر مواقف العظة والعبرة والقُدوة ، كما تساعد التلاميذ على التعرف على أهم كتب السيرة التي يمكن أن تزيد من معرفتهم وتوسع مداركهم في جوانب السيرة المختلفة.

رابعاً : فكرة عن النظام الاجتماعي في الإسلام ، وأهم مقوماته التي يقوم عليها ، كحرية المعتقد والكسب ، وما يتعلق بها من حقوق الإنسان.

وسيجد الطلاب في هذا المنهج فرصاً عديدة ، لممارسة نشاطات مختلفة ، من خلال تكوين جمعيات علمية لخدمة السنّة ، والأسرة ، مع إظهار جوانب القدوة في سيرة المصطفى ﷺ وذلك من خلال العون الذي يقدمه الإخوة المعلمون لطلابهم ، حتى يتمكنوا من تحويل المعارف إلى قيم واتجاهات وسلوك في داخل المدرسة وخارجها.

والله ولي الذين آمنوا وكانوا يتقون

المؤلفون



الباب الأول
علوم الهندسة

تعريف السنة

السنة لغة: هي الطريقة والسيرة. سواء أكانت محمودة أم مذمومة، والجمع سنن مثل غرفة وغرف.

وقد ورد استعمالها في القرآن الكريم وفي الحديث النبوي بهذا المعنى.
ففي القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ (الأنفال: ٣٨)

وفي الحديث يقول ﷺ: (لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه، قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟) متفق عليه.

ويقول: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء) أخرجه مسلم.

السنة اصطلاحاً: لها عدة تعريفات:

(١) السنة عند الفقهاء:

أ- ما ثبت عن النبي ﷺ من غير وجوب. فهي أحد الأحكام التكليفية الخمسة: الواجب، والمندوب، والحرام، والمكروه، والمباح. وقد يستعملونها في مقابل البدعة، فيقولون طلاق السنة، كذا، وطلاق البدعة كذا.

ب- تطلق السنة في مقابل البدعة مطلقاً. فيقال: فلان على سنة، إذا عمل وفق ما عمل به النبي ﷺ سواء كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أولاً. ويقال: فلان على بدعة، إذا عمل على خلاف ذلك، لأنه أحدث في الدين ما ليس منه - وكل محدثة بدعة، فكل ما أحدثه الناس من قول أو عمل في الدين وشعائره مما لم يؤثر عنه ﷺ وليس له أصل فهو بدعة.

ج- تطلق السنة كذلك على ما دل عليه دليل شرعي، ولو كان من عمل الصحابة واجتهادهم كجمع المصحف، وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة. وتدوين الدواوين، وما أشبه ذلك، يدل على هذا قوله ﷺ **(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي)** أخرجه أبوداود والترمذي.

٢) السنة عند الأصوليين: ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

٣) السنة عند المحدثين: ما أثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل أو تقرير أو صفة، أو سيرة.

وهي بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي عند أكثرهم، وهذا هو الاستعمال الشائع، نقول: ثبت هذا الحكم في الكتاب، أي في القرآن، ونقول: ثبت هذا الحكم في السنة، أي في الحديث. ونقول: جاء في كتب السنة أي: كتب الحديث.



أسباب اختلاف العلماء في تعريف السنة:

ويرجع الاختلاف في تعريف السنة اصطلاحاً إلى اختلافهم في الأغراض الأساسية التي تعنى بها كل فئة من أهل العلم.

فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ (الإمام الهادي الذي أخبر الله عنه أنه أسوة لنا وقدوة). فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة، وخلق وشمائل وأقوال وأفعال، سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا.

وعلماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ (المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس دستور الحياة)، فعنوا بأقواله وأفعاله وتقريراته التي تثبت الأحكام وتقررهما.

وعلماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله ﷺ (الذي لاتخرج أفعاله عن الدلالة على حكم شرعي)، وهم يبحثون عن حكم الشرع على أفعال العباد وجوباً أو ندباً أو حرمة أو كراهة أو إباحة.

تدريب:

- (١) عرّف السنة في اللغة؟
- (٢) اذكر تعريف كل من هؤلاء للسنة:
أ- المحدثين. ب- الأصوليين. ج- الفقهاء.
- (٣) بين أسباب اختلاف هذه التعريفات.
- (٤) ما معنى السنة مقابل البدعة؟
- (٥) عدد الأحكام التكليفية

حجية السنة ومرتبها في الشريعة الإسلامي

السنة النبوية هي الأصل الثاني من أصول الأدلة الشرعية، ومنزلتها تلي منزلة القرآن، ويجب اتباعها كما يجب اتباع القرآن وقد دل على حجيتها أمور كثيرة منها:

(١) نصوص القرآن الكريم: فقد أمر الله باتباع رسوله وطاعته، فقال:

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (الحشر: ٧).

وقال ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ (النساء: ٥٩).

فهذه النصوص تدل دلالة قاطعة على أن الله أوجب اتباع رسوله فيما شرعه، وأن السنة مصدر تشريعي للأحكام.

(٢) عمل الصحابة: فقد كان الصحابة - رضوا عنه - في حياة رسول الله ﷺ يمثلون

أوامره ونواهيه، ولا يفرقون بين حكم أوحى الله به في القرآن الكريم،

وحكم صدر من رسول الله ﷺ فقد قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ ۝١

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم: ٣، ٤).

وكذلك كان شأنهم بعد وفاته ﷺ يرجعون إلى كتاب الله تعالى يلتزمون

الحكم فيه، فإن لم يجدوا في كتاب الله رجوعاً إلى سنة رسول الله ﷺ.

(٣) توقف القيام بفرائض الله المجملة على بيان رسول الله ﷺ: فقد ورد في

القرآن الكريم نصوص مجملة كثيرة، فرض الله فيها على الناس فرائضه

ولم يبين القرآن كيفية أدائها، كفرائض الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج،

قال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ (البقرة: ١٨٣).

وقال تعالى ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾
(آل عمران: ٩٧). وبين الرسول ﷺ هذا الإجمال بسنته القولية والعملية
حيث قال الله تعالى فيه: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ
إِلَيْهِمْ ﴾ (النحل: ٤٤).

فلو لم تكن هذه السنة البيانية حجة على المسلمين واجبة الاتباع ما أمكن
تنفيذ أوامر القرآن وفرائضه واتباع أحكامه. فمن السنة عرفنا تفصيل
مواقيت الصلاة، وعدد ركعاتها، وكيفية أدائها، وبيان مقادير الزكاة وأوقاتها.
والأموال التي تزكى، وبيان أحكام الصوم، ومناسك الحج، وتفصيل الأنكحة
والبيوع، والجنایات، وسائر ما وقع مجملاً في القرآن.

رتبة السنة في الأدلة الشرعية:

رتبة السنة في الأدلة الشرعية تلى رتبة القرآن الكريم، يدل على ذلك
أمور: الأول: أن القرآن الكريم مقطوع به لثبوته بالتواتر، والسنة مظنونة،
لثبوتها غالباً بالآحاد، والمقطوع به مقدم على المظنون، فلزم من ذلك تقديم
القرآن الكريم على السنة.

والثاني: أن السنة إما بيان للقرآن الكريم، أو زيادة على ذلك، فإن كانت
بياناً فهي مفسرة للمبين - بفتح الياء المشدودة - في الاعتبار، وإن لم تكن
بياناً، فإنها لاتعتبر إلا بعد عدم وجودها في القرآن الكريم، وذلك دليل على
تقدم اعتبار الكتاب.

والثالث: ما دل على ذلك من الأخبار والآثار كحديث معاذ عندما قال له
رسول الله ﷺ: (كيف تقضي؟ قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: " فإن لم
يكن في كتاب الله ". قال: فبسنة رسول الله ﷺ. قال: " فإن لم يكن في سنة

رسول الله ﷺ؟". قال: اجتهد رأيي. قال: " الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله) أخرجه أحمد والترمذي وأبو داود.

وعن عمر بن الخطاب أنه كتب إلى شريح: (إذا أتاك أمر فأقض بما في كتاب الله، فإن أتاك ما ليس في كتاب الله فأقض بما سن فيه رسول الله ﷺ) أخرجه النسائي والترمذي.

تدريب:

١. على ماذا اتفق علماء المسلمين؟
٢. اذكر الدليل على حجية السنة.
- أ. من القرآن. ب. من عمل الصحابة؟
٣. ما الدليل على أن رتبة السنة تأتي بعد القرآن الكريم في الأدلة الشرعية؟
٤. اشرح: توقف القيام بفرائض الله المجملة على بيان رسول الله ﷺ.
٥. كيف ترد على من زعم الاكتفاء بالقرآن دون السنة؟

كتابة الحديث النبوي

انتشرت الكتابة في عهد النبي ﷺ إذ حث القرآن على التعلم والقراءة، واتخذ رسول الله ﷺ كتابة للوحي، بلغ عددهم أربعين رجلاً، بل يوجد عددٌ من النساء الكاتبات منهن، أم المؤمنين حفصة، وأم كلثوم بنت عقبة، والشفاء بنت عبد الله القرشية، وعائشة بنت سعد، وكريمة بنت المقداد. عن الشفاء قالت: " دخل على رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي: " ألا تعلمين هذه رُقِيَّة النملة (١) كما علمتها الكتابة " أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما.

وقد تعارضت النصوص الواردة في كتابة الحديث، فمنها ما دل على كراهة الكتابة، ومنها ما دل على إباحتها.

١- ما روى في كراهة كتابة الحديث:

أ- عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) أخرجه مسلم.

ب- وعن أبي هريرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نكتب الأحاديث - فقال: " ما هذا الذي تكتبون؟ قلنا: أحاديث نسمعها منك، قال: أكتاباً غير كتاب الله تريدون؟ ما أضل الأمم قبلكم، إلا بما اكتبوا من الكتب مع كتاب الله تعالى " أخرجه الخطيب البغدادي في تقييد العلم.

١. النملة: قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد.

٢- ما روي من إباحة الكتابة:

أ- عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال: (كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ، أريد حفظه، فنهتني قریش، وقالوا: تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فأوماً بأصبعه إلى فيه)، وقال: (اكتب، فو الذي نفسى بيده ماخرج منه إلا حق) أخرجه الدارمي في سننه، والخطيب في تقييد العلم.

ب- وثبت في الصحيحين أنه لما فتح الله على رسوله ﷺ - مكة - قام رسول الله ﷺ فخطب خطبة، فقام أبو شاة - رجل من اليمن - فقال: اكتبوا لى يارسول الله، فقال رسول الله ﷺ (اكتبوا لأبي شاة).

ج- وعن أنس بن مالك أنه قال قال رسول الله ﷺ: (قيدوا العلم بالكتاب). أخرجه الخطيب في تقييد العلم وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله - وصححه الألباني.

ولهذا التعارض في النصوص اختلف العلماء في كتابة الحديث، فمنهم من كره كتابة الحديث والعلم وأمر بحفظه، ومنهم من أجاز ذلك.

وقد وفق العلماء بين ما ورد من نهى عن الكتابة وما ورد من إباحة بوجوه منها:

١. أن النهي عن الكتابة إنما كان في أول الإسلام مخافة اختلاط الحديث بالقرآن، فلما أمن من ذلك بكثرة حفظ القرآن أذن رسول الله ﷺ في كتابة الحديث، ونسخ النهي الأول.

٢. أنَّ النهي إنما كان عن كتابة الحديث مع القرآن في صحيفة واحدة مخافة الاشتباه.

٣. أنَّ النهي كان في حق من وثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة، والإذن كان في حق من لا يوثق بحفظه كأبي شاة. وبذا ينتفي التعارض بين النصوص، ومما لا شك فيه أنَّ هذا الاختلاف كان أول الأمر، ثم أجمع المسلمون على جواز الكتابة، قال ابن الصلاح: " ثم إنه زال الخلاف، وأجمع المسلمون على تسويغ ذلك وإباحته، ولولا تدوينه في الكتب لدُرس في الأعصر الأخيرة ". ويستفاد من بعض الآثار أنَّ رسول الله ﷺ أذن في كتابة الحديث في آخر حياته إذناً عاماً.

أشهر الصحف المكتوبة في عهد النبي ﷺ:

- ١- الصحيفة الصادقة، التي كتبها جامعها عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ، وقد ذكر أهل الحديث أنَّها اشتملت على ألف حديث، وهذه الصحيفة هي ما جاء بسند عبد الله بن عمرو في مسند الإمام أحمد.
- ٢- صحيفة هَمَّام، وهي في الحقيقة صحيفة أبي هريرة لهمام وسماها صاحب كشف الظنون بالصحيفة الصحيحة.

تدريب:

١. ما معنى أن العرب - (أمة أمّية)؟
٢. كيف استطاع العلماء التوفيق بين الأحاديث التي تدل على كراهية كتابة الحديث والأحاديث التي تبيح كتابته؟
٣. يعترض بعض الناس على تعلم المرأة. بماذا ترد عليهم؟
٤. ضع خطأً تحت الإجابة الصحيحة:
أ- الصحيفة الصادقة كتبها عبد الله بن:
أ. عمر. ب. عمرو. ج. مسعود. د. الزبير.
ب- الصحيفة الصحيحة هي لـ:
أ. أبي هريرة. ب. عبد الله بن عمر. ج. همام.

تدوين الحديث

التدوين غير الكتابة. فإنَّ الكتابة تعني أن يكتب شخص صحيفة أو أكثر. أما التدوين فإنه جمع المكتوب من الصحف، والمحفوظ في الصدور وترتيبه حتى يكون في كتاب واحد. وكانت المحاولة الأولى لجمع الحديث وتدوينه على يد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز.

البواعث التي دعت إلى تدوين الحديث:

١. زوال أسباب الكراهة: فقد حفظ القرآن الكريم في صدور الآلاف من الحفظة. وجمع الجمع الأخير في عهد عثمان، وأصبح التمييز بين القرآن والحديث أمراً معروفاً واضحاً، فلا وجه لاحتمال اللبس بينهما.
٢. الخشية من ضياع الحديث: فإنَّ الحافظة القوية التي تميز بها العرب أصبح لا يعتمد عليها، وقد تفرق العلماء في الأمصار الإسلامية، المترامية الأطراف بعد اتساع رقعة الدولة، ولدى كل واحد منهم علم فاحتاج الأمر إلى جمع أحاديث رسول الله ﷺ، حفاظاً عليها.
٣. ظهور الوضع في الحديث: بسبب الخلافات السياسية والمذهبية بعد الفتنة، وانقسام المسلمين إلى شيعة عليٍّ، وأتباع معاوية، وخوارج خرجوا عليهما معاً. حيث حرصت كل طائفة على تأييد مذهبها بتأويل القرآن على غير حقيقته، أو تحميل نصوص السنة ما لاتحتمل فإذا عز عليهم ذلك، نسبوا إلى رسول الله ﷺ، ما لم يقله دعماً لدعواهم.

لهذا كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر محمد بن عمرو بن حزم عامله على المدينة كتاباً قال فيه: " انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ أو سنة ما ضية، أو حديث عمرة فاكتبه، فإنني خفت دروس العلم وذهاب أهله^٢ " أخرجه الدارمي في سننه. وابن سعد في الطبقات الكبرى. وفي رواية أنه أمره أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن، والقاسم بن محمد بن أبي بكر.

وكتب عمر إلى الأمصار الأخرى، إلى الولاة وغيرهم: " انظروا إلى حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه ". ولكن هذا الجمع لم يكن شاملاً، وتوفي عمر بن عبد العزيز قبل أن يبعث إليه أبو بكر بن حزم بما جمعه.

أمّا المحاولة الجادة الشاملة - فكانت على يد الإمام الجليل - محمد بن شهاب الزهري. حيث استجاب لعمر بن عبد العزيز عن رغبة صادقة، وافقت ما كان عليه من حب للحديث. وشغف بجمعه، فاستقصى ما وصل إليه من حديث وجمعه، وكانت محاولته تمهيداً لمن جاء بعده من المصنفين في الأمصار المختلفة، حتى قال كثير من العلماء: " لو لا الزهري لضاع كثير من السنة " وقالوا: " أول من دون العلم ابن شهاب. وعن ابن شهاب قال: " لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني ".

ولم يكن تدوين الحديث ابتداءً مبوباً على أبواب العلم، ولكنه كان جمعاً للأحاديث من غير تبويب، ثم شاع التدوين بعد الزهري على أنماط مختلفة،

١. وقوله: أو حديث عمرة، أراد به ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية - وكانت على علم بحديث عائشة (رضي الله عنها).

كان أكثرها يجمع حديث رسول الله ﷺ مختلطاً بأقوال الصحابة، وفتاوى التابعين، إلى أن قام أئمة الحديث بتأليفهم العظيمة على طريقة المسانيد، ثم على طريقة التبويب.

تدريب:

١. وضّح الفرق بين التدوين والكتابة.
٢. ما البواعث التي دعت إلى تدوين الحديث؟
٣. اذكر أسماء الذين بدأوا في تدوين الحديث.
٤. كيف كان التدوين في أول الأمر؟
٥. متى ظهر الوضع في الحديث؟
٦. ما سبب ظهور الوضع؟

علوم الحديث

نشأتها وتطورها:

عُنيت الأمة الإسلامية بالحديث النبوي، رواية وحفظاً ودراسة، حتى تصون تراثها التشريعي، (المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم) يحدوها في ذلك أمران أساسيان:

أحدهما: الباعث الديني: فإنَّ الأمم تعنى بتراثها الفكري الذي يمس حياتها، ويخالط قلوبها، وتقوم عليه نهضتها، وتحرص على غرس هذا التراث في نفوس أبنائها، وتعمل على إذكائه حتى يظل ماثلاً نصب أعينها، تترسم خطاه، وتلتزم نهجه، وإذا كان هذا شأن الأمم في التراث الفكري البشري، فإنَّ أمة تدين بالإسلام، والرسالة التي بعث بها محمد ﷺ لا تدخر وسعاً في أن تولى عنايتها لما تتلقاه عن نبيها، ترويه وتنقله، وتحفظه وتعيه وتعمل بما جاء فيه، لأنَّه جزء من كيائها، ولا حياة لها إلا به، والأخذ بذلك واجب يفرضه الدين فيما أوجبه الله تعالى من اتباع رسوله وطاعته، والوقوف عند ما أتى به، والتأسي بسيرته ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء: ٦٥).

والثاني: الباحث التاريخي: فإن الأمم يعرض لها في تاريخها كثير من العوارض التي تستدعي الحرص على حفظ تراثها ووقايتها من الدخول بما يحدث فيها من فتن، وما تتعرض له من عدااء خصومها والدس عليها، والأمة الإسلامية التي قوضت دعائم الشرك، واقتحمت حصون الروم والفرس، واجهت خصوماً ألداء، يعرفون أن قوة هذه الأمة في قوة دينها، وأنها لا تؤتى إلا من قبله. ومن سبل ذلك الوضع في الحديث، فوجد المسلمون في ذلك حافزاً قوياً يحفز همتهم للتحري في نقل الحديث، واتباع قوانين الرواية وأصولها العلمية الصحيحة، كي يصونوا هذا التراث العظيم من التحريف فيه والدخيل عليه، فيظل صافياً نقياً، لا تشوبه شائبة، ولا تعتريه ريبة.

منهج الصحابة في رواية الحديث:

أولاً: تقليل الرواية عن رسول الله ﷺ:

فإنهم كانوا يخافون من كثرة الرواية أن تزل ألسنتهم بالخطأ أو النسيان وأن يؤدي هذا إلى الكذب على رسول الله ﷺ وما فيه من وعيد شديد، كما يخشون أن يشتغل الناس بالسنة وينصرفوا عن القرآن الكريم. وكثيراً ما كان يقول بعضهم، بعد رواية الحديث: "نحو هذا، أو كما قال: أو شبيهاً بذلك" وقد تأخذه رعدة بتغير لونه حين يروى شيئاً عن رسول الله ﷺ، ورعاً واحتراماً لحديثه.

وعن محمد بن سيرين قال: "كان أنس بن مالك إذا حدث عن رسول الله ﷺ حديثاً ففرغ منه قال: "أو كما قال رسول الله ﷺ" أخرجه ابن ماجه.

ثانياً: التثبت في الرواية:

قال الحافظ الذهبي: كان أبوبكر رضي الله عنه، أول من احتاط في قبول الأخبار. فروى ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب أن الجدة جاءت إلى أبي بكر تلتمس أن تورث، فقال: " ما أجد لك في كتاب الله شيئاً وما علمت أن رسول الله ذكر لك شيئاً، ثم سأل الناس، فقام المغيرة بن شعبة فقال: سمعت رسول الله ﷺ يعطيها السدس فقال له: هل معك أحد؟ فشهد محمد بن مسلمة بمثل ذلك، فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه " أخرجه الإمام مالك في الموطأ، وأخرجه أبوداود والترمذي، وابن ماجه.

ثالثاً: نقد المرويات:

وذلك بعرض المروي على القرآن الكريم، فإن كان مخالفاً له تركوا العمل به.

هذا وقد كان للخلاف بين على ومعاوية آثاره في انقسام المسلمين إلى طوائف، ومن هذه الطوائف من غلا في التعصب لما ذهب إليه، وحاول أن يدعمه بالقرآن والسنة، فإن لم يجد هذا صريحاً أوّل القرآن على غير حقيقته أو حمل نصوص السنة، ما لا تتحمّله، فإذا عز عليه ذلك نسب إلى رسول الله ﷺ ما لم يقله.

ثم أخذ الدس على السنة يزداد شيئاً فشيئاً، فهب العلماء لدرء هذا الشر، وحماية حديث رسول الله ﷺ منذ بداية عصر الصحابة وكبار التابعين، وعنوا بالبحث في إسناد الحديث وفحص أحوال الرواة ؛ عن محمد بن سيرين قال: " لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة، قالوا: (سموا لنا رجالكم،

فينظر إلى حديث أهل السنة فيؤخذ حديثهم. وينظر إلى حديث أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم) مقدمة صحيح مسلم.

وعن عبد الله بن عثمان قال: سمعت عبد الله بن المبارك يقول: "الإسناد من الدين، ولو لا الإسناد لقال من شاء، ما شاء".

وقال ابن المبارك كذلك: "بيننا وبين القوم القوائم، يعني الإسناد" فنشأ بهذا علم ميزان الرجال "الجرح والتعديل" وتاريخ الرواة "وأصبح علم الحديث يشمل موضوعين رئيسيين، علم الحديث رواية، وعلم الحديث دراية.

١ - علم الحديث رواية:

هو العلم الذي يقوم على نقل ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو صفة خلقية أو خلقية نقلاً دقيقاً محرراً.

وموضوعه: أقوال الرسول ﷺ وأفعاله وتقريراته وصفاته من حيث نقلها نقلاً دقيقاً.

وفائدته: حفظ السنة وضبطها والاحتراز من الخطأ في نقل ما أضيف إلى الرسول ﷺ.

٢ - علم الحديث دراية:

هو مجموعة القواعد والمسائل التي يعرف بها حال الراوى (السند) والمروى (المتن) من حيث القبول والرد وهو ما يعرف بعلم مصطلح الحديث. والراوى: هو ناقل الحديث، والمروى: هو ما أضيف إلى النبي ﷺ أو إلى غيره من الصحابة، أو التابعين.

وموضوع علم الحديث دراية: السند والمتن من حيث أحوال كل منهما. وفائدة علم الحديث دراية: معرفة المقبول من المردود.

والسند في اللغة: مأخوذ من قولهم: سند إليه يسند سنوداً أي ركن إليه، واعتمد عليه. وسند الشيء أي جعل له سناداً، أو عماداً يستند إليه.

والسند في اصطلاح المحدثين: هو الطريق الموصل للمتن (النص المنقول)، أي سلسلة الرجال الموصلة للمتن، سمي سنداً لاعتماد الحفاظ في صحة الحديث وضعفه عليه.

والإسناد: هو رفع الحديث لقائله، وعرفه ابن حجر بقوله: حكاية طريق المتن. وقد يطلق على سلسلة الرجال الموصلة للمتن، فيكون بهذا مرادفاً للسند.

والمُسْنَد: بكسر النون: هو الذي يروى الحديث بسنده.

المتن لغة: ما صلب وارتفع من الأرض.

والمتن في اصطلاح المحدثين: هو ما ينتهي إليه غاية السند من الكلام، وسُمِّيَ متنّاً لأن السند يقويه ويرفعه إلى قائله.

تدريب:

١. اذكر الأسباب التي دعت المسلمين للعناية بتدوين الحديث.

٢. لماذا أنشئ علم الرجال؟

٣. ما أسباب الوضع في الحديث؟ وكيف قاوم العلماء الوضع؟

٤. عرف السند والمتن - مع توضيح العلاقة بينهما.

٥. أكمل الآتي:

أ- علم الحديث يشمل موضوعين هما: ١.....، ٢.....

ب- فائدة السند هي:.....

ج- ما علم الحديث دراية؟ وبم يسميه العلماء؟

مصطلح الحديث

الحديث في اللغة: الجديد. والحديث كذلك ما يُتحدث به ويُنقل. ويطلق على القليل والكثير. والجمع أحاديث، على غير قياس. وقوله عز وجل ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ (الكهف: ٦). عني بالحديث القرآن الكريم وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ (الضحى: ١١) أي بلغ ما أرسلت به.

والحديث في اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها. وينصرف في الغالب عند الإطلاق إلى ما يروى عن الرسول ﷺ بعد النبوة من قول أو فعل أو تقرير، وهذا هو اصطلاح الأصوليين. فما كان قبل البعثة لا يكون حديثاً، لأنَّ القصد من الحديث العمل بمقتضاه، ولا يكون هذا إلا بعد النبوة. فمثال القول ما تحدث به ﷺ في مختلف المناسبات مما يتعلق بتشريع الأحكام كقوله ﷺ: (لا ضرر ولا ضرار) أخرجه أحمد وابن ماجة. ومثال الفعل: أفعاله ﷺ التي نقلت إلينا - مثل: وضوئه وكيفية صلاته وقضائه باليمين والشاهد، ونحو ذلك.

ومثال التقرير: ما أقره الرسول ﷺ مما صدر عن بعض الصحابة من أقوال وأفعال بسكوته وعدم إنكاره أو بموافقة وإظهاره استحسانه، ومن ذلك، ما روي أن خالداً بن الوليد ﷺ أكل ضباً* قدّم إلى النبي ﷺ دون أن يأكله، فقال بعض الصحابة: " أو يحرم أكله يا رسول الله؟ فقال: لا، ولكنه ليس في أرض قومي فأجدني أعافه " أخرجه البخاري ومسلم.

* الضب: يقصد به الورل.

وأما الصفة والسيرة: فقد روى من صفات رسول الله ﷺ وشمائله الكثير، وألف الترمذي كتاباً في الشمائل.

ومثال ذلك ما روى ابن إسحق قال: سأل رجل البراء بن عازب رضي الله عنه أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال لا مثل القمر " أخرجه الترمذي. وقال: حديث حسن صحيح.

الخبر:

الخبر لغة: النبأ وجمعه أخبار.

أما الخبر اصطلاحاً: ففيه ثلاثة أقوال:

١. قيل إنه مرادف للحديث فمعناها واحد.
٢. وقيل مغاير له: فالحديث ما جاء عن النبي ﷺ والخبر ما جاء عن غيره كالصحابية والتابعين.
٣. وقيل: إنَّ الخبر أعمّ من الحديث، فالحديث ما جاء عن النبي ﷺ، والخبر ما جاء عنه أو عن غيره.

الأثر:

الأثر لغة: بقية الشيء.

والأثر اصطلاحاً: فيه قولان:

١. قيل: هو مرادف للحديث. فمعناها واحد.
٢. وقيل: مغاير له وهو ما أضيف إلى الصحابة والتابعين من أقوال وأفعال.

الحديث القدسي:

والقدسي لغة: نسبة إلى القدس بمعنى الطهر، وهي تسمية تدل على التعظيم، أي المنسوب إلى ذات الله المقدسة.
والحديث القدسي اصطلاحاً: هو ما يضيفه النبي ﷺ إلى الله تعالى.

صيغة روايته:

لرواية الحديث القدسي صيغتان:

الأولى: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل.
ومثاله: ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ فيما روى عن الله تبارك وتعالى: أنه قال: ﴿ يا عبادي إنني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ﴾.

الثانية: قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى، أو يقول الله تعالى.
ومثاله: ما أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: ﴿ أنا عند حسن ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ﴾.

الفرق بينه وبين القرآن:

١. القرآن لفظه ومعناه من الله تعالى، والحديث القدسي معناه من الله ولفظه من عند النبي ﷺ.

٢. القرآن يتعبد بتلاوته: والحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته.

٣. القرآن يشترط في ثبوته التواتر، الحديث القدسي لا يشترط في ثبوته التواتر.

٤. القرآن متحدي به والحديث ليس كذلك.

الفرق بينه وبين الحديث النبوي:

الحديث النبوي ينسب إلى الرسول ﷺ ويحكى عنه، أمّا الحديث القدسي فنسبته إلى الله تعالى، والرسول يحكيه ويرويّه عنه عز وجل، ولذلك قيد بالقدس، فقل فيه حديث قدسي، نسبة إلى الله تقدس سبحانه وتعالى، وقيد الآخر بالنبوي ﷺ فقل فيه حديث نبوي نسبة إلى النبي ﷺ.

هذا والأحاديث القدسية قليلة، وأشهر المصنفات فيها " الإتحافات السنيّة بالأحاديث القدسية، لعبد الرؤوف المناوي (١٠٣١ هـ) جمع فيه (٢٧٢) حديثاً.

تدريب:

١. عرّف الحديث في اللغة، والاصطلاح.
٢. ما الخبر؟ وما الأثر؟
٣. اذكر العلاقة بين الحديث والخبر والأثر.
٤. ما الفرق بين الحديث القدسي، والحديث النبوي الشريف؟
٥. اذكر مثلاً للسنّة التقريرية.
٦. بم تفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم؟

الحديث المقبول والمردود

تعريف المقبول:

هو ما ترجح صدق المُخبر به.

الحديث المقبول تتفاوت مراتبه، ولذا قسمه العلماء إلى قسمين رئيسيين هما الصحيح والحسن. والصحيح، إما أن يكون صحيحاً لذاته، وإما أن يكون صحيحاً لغيره، والحسن، إما أن يكون حسناً لذاته، وإما أن يكون حسناً لغيره، فهو أربعة أقسام.

القسم الأول : الحديث الصحيح:

الصحيح لغة: ضد السقيم، وهو حقيقة في الأجسام، مجاز في الحديث وسائر المعانى.

الصحيح اصطلاحاً: هو ما اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة.

ويتضح من هذا التعريف أنه يشترط في الحديث الصحيح خمسة شروط:

١. اتصال السند: أي أن كل راوٍ من رواته قد أخذه مباشرة عن فوقه من أول السند إلى منتهاه.

٢. عدالة الرواة: أي أن كل راوٍ من رواته اتصف بكونه مسلماً بالغاً عاقلاً، غير فاسق، وغير مخروم المروءة.

٣. تمام الضبط: أي أن كل راوٍ من رواته كان تام الضبط والضبط نوعان. ضبط صدر، وضبط كتاب.

فضبط الصدر: أن يحفظ الراوي في صدره ما سمعه من الحديث بحيث يتمكن من استحضاره متى شاء.

وضبط الكتاب: أن يصون كتابه الذي كتبه عند سماعه وتصحيحه وأدائه.

٤. عدم الشذوذ: أي أن لا يكون الحديث شاذاً، والشذوذ: هو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه.

٥. عدم العلة أي أن لا يكون الحديث معلاً. والعلة: سبب غامض خفي يقدح في صحة الحديث مع أن الظاهر السلامة منه.

فإذا اختلف شرط واحد من هذه الشروط الخمسة فلا يسمى الحديث حينئذ صحيحاً، ومثال الصحيح: ما أخرجه البخاري في صحيحه قال: حدثنا عبد الله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن ابن شهاب، عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: "سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطور".

٢ - الحديث الحسن:

الحسن لغة: صفة مشبهة من الحسن بمعنى الجمال.

والحديث الحسن اصطلاحاً: هو ما اتصل سنده بنقل العدل الذي خف ضبطه عن مثله إلى منتهاه من غير شذوذ ولا علة، فالفرق بينه وبين الصحيح هو تمام الضبط في الصحيح، وخفته في الحسن.

حكمه: وحكم الحديث الحسن كالحديث الصحيح في الاحتجاج به، وإن كان دونه في القوة. وقد احتج به جميع الفقهاء، ومعظم المحدثين والأصوليين.

مثاله: ما أخرجه الترمذي قال: حدثنا قتيبة، حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي، عن أبي عمران الجوني، عن أبي بكر بن أبي موسى الأشعري قال: سمعت أبي بحضرة العدو يقول: قال رسول الله ﷺ (**إِنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلِّ السَّيْفِ**) الحديث.

فإنَّ رجالَ إسناده الأربعة ثقاتٌ إلَّا جعفر بن سليمان الضبعي فإنه حسن الحديث.

معنى قول الترمذي وغيره " حديث حسن صحيح "

الحديث الحسن تقصر مرتبته عن الصحيح كما مرَّ ولكن الترمذي يقول في بعض الأحاديث: (حديث حسن صحيح) فكيف يجمع بينهما؟ أجاب ابن حجر عن ذلك بما خلاصته ما يأتي:

○ إن كان للحديث إسنadan فأكثر فالمعنى: حسن باعتبار إسناده، صحيح باعتبار إسناده آخر.

○ وإن كان له إسناده واحد فالمعنى: حسن عند قوم، صحيح عند قوم آخرين.

٣- الصحيح لغيره:

الحديث الصحيح لغيره: هو الحديث الحسن لذاته إذا روى من طريق آخر مثله، أو أقوى منه، وسمى صحيحاً: لغيره لأنَّ الصحة لم تأت من ذات السند، وإنَّما جاءت من انضمام غيره له. وهو أعلى مرتبة من الحسن لذاته، ودون الصحيح لذاته.

مثاله: ما أخرجه الترمذي من حديث محمد بن عمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: " لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة ".

فإن محمد بن عمرو بن علقمة لم يكن من أهل الإتقان، فضعفه بعضهم من جهة سوء حفظه، ووثقه بعضهم لصدقه وجلالته، فحديثه حسن، فلما انضم إلى ذلك رواية الحديث من أوجه أخر انجبر ذلك النقص اليسير، فصحّ هذا الإسناد والتحق بدرجة الصحيح، إذ أخرجه الشيخان من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

٤ - الحسن لغيره:

الحسن لغيره هو الحديث الضعيف إذا تعددت طرقه، ولم يكن سبب ضعفه فسق الراوي أو كذبه.

كأن يكون راويه مستوراً، أو ضعيفاً لسوء الحفظ أو الجهالة، ويروى من طريق آخر فأكثر، مثله أو أقوى منه - وهو أدنى مرتبة من الحسن لذاته. كما أنه من المقبول الذي يحتج به.

مثاله: ما أخرجه الترمذي وحسنه من طريق شعبة عن عاصم عن عبيد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه " أن امرأة من فزارة تزوجت على نعلين " فقال رسول الله ﷺ " أَرْضِيَّتِ مِنْ نَفْسِكَ وَمَالِكَ بِنَعْلَيْنِ؟ قَالَتْ، نَعَمْ، فَأَجَازَهُ " فعاصم ضعيف لسوء حفظه، وقد حسنه الترمذي لمجيئه من غير وجه.

ثالثاً الحديث الضعيف:

تعريفه:

الضعيف في اللغة: ضد القوي، والضعف حسي ومعنوي، والمراد هنا الضعف المعنوي.

والحديث الضعيف اصطلاحاً: هو ما لم يجمع صفة الحسن بفقد شرط من شروطه. وحيث كانت صفات القبول متعددة وكان ضعف الحديث يرجع إلى فقد صفة منها أو أكثر، فإنَّ الحديث الضعيف ينقسم إلى أقسام متعددة بهذا الاعتبار كالشاذ، والمضطرب، والمقلوب، والمعلل، والمنقطع، والمعضل وغير ذلك.

تفاوت الضعيف:

يتفاوت الضعيف حسب شدة ضعف رواته و خفته، فمنه الضعيف، ومنه الضعيف جداً، ومنه الواهي، ومنه المنكر، وشر أنواعه الموضوع.

مثاله: حديث " من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم بينهن بشئ عدلن له عبادة اثنتي عشرة سنة ".

أخرجه عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة، وعمر هذا قال فيه الإمام أحمد، ويحيى بن معين والدارقطني: ضعيف. وقال أحمد أيضاً: لا يساوي حديثه شيئاً. وقال البخاري: منكر الحديث وضعفه. وقال ابن حبان: لا يحل ذكره إلا على سبيل القدح فيه، فإنه يضع الحديث على مالك وابن أبي ذئب وغيرهما من الثقات.

العمل بالحديث الضعيف:

الأصل في الحديث الضعيف أنه مردود لا يعمل به بخلاف الحديث الصحيح، والحديث الحسن. ولكن العلماء تناولوا بالبحث إمكان العمل بالحديث الضعيف، واختلفت آراؤهم في ذلك:

أ- فذهب بعض المحققين من العلماء إلى أن الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقاً سواء أكان ذلك في العقائد، أم في الأحكام الفقهية، أم في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال، وهذا هو القول المنقول عن يحيى بن معين، والبخاري ومسلم، وهو ما ذهب إليه ابن العربي فقيه المالكية وأبو شامة المقدسي من فقهاء الشافعية، وعليه ابن حزم.

ب- وحكى عن كثير من الفقهاء العمل بالحديث الضعيف مطلقاً إذا لم يوجد غيره في الباب، وهو المنقول عن أبي حنيفة، والشافعي، ومالك، وأحمد. ولكن المعروف أن الحديث الضعيف عند أحمد هو الذي يقابل الحسن في اصطلاح المتقدمين.

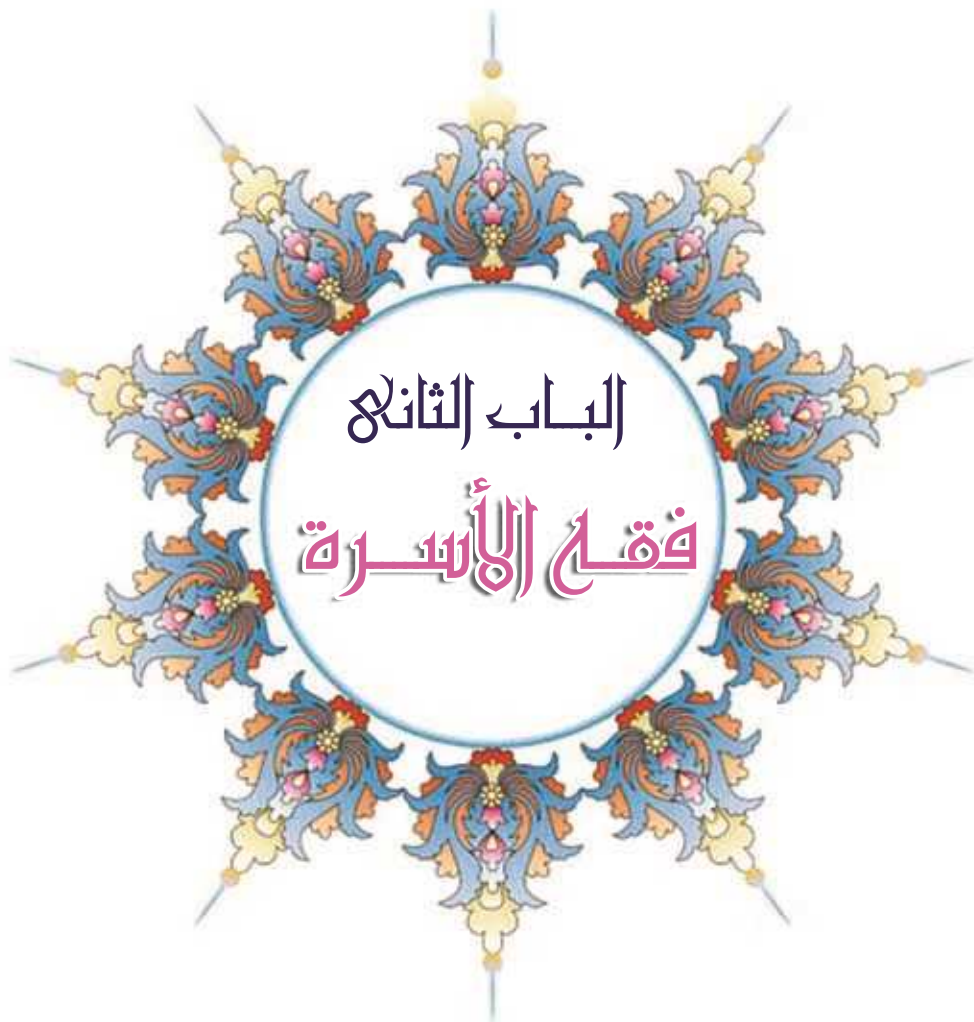
ج- وفصل بعض العلماء القول في العمل بالحديث الضعيف، فأجازوا العمل به في الترغيب والترهيب وفضائل الأعمال، ومنعوا ذلك في العقائد وأحكام الحلال والحرام.

وجواز العمل به في فضائل الأعمال مشروط بشروط ثلاثة:

١. أن يكون الضعف غير شديد.
٢. أن يندرج الحديث تحت أصل معمول به.
٣. أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط.

تدريب:

١. ما الحديث المقبول؟
٢. عرّف الحديث الصحيح، مع شرح شروط الصحة.
٣. ما الفرق بين الحديث الصحيح لذاته والصحيح لغيره؟
٤. ما معنى قول الترمذي " هذا حديث حسن صحيح "؟
٥. ما الحديث الضعيف؟
٦. اذكر شروط العمل بالحديث الضعيف عند من جوزوا العمل به؟
٧. عرّف الحديث الحسن، وهل يُحتجُّ به؟



الأسرة في الإسلام

الأسرة في الإسلام هي نواة المجتمع الصالح، لذا نجده يعتنى بها عناية فائقة، فقد تناول التشريع الإسلامي أحكام الأسرة بتفصيل كبير، وضح فيه الجوانب المختلفة التي تتعلق بالأسرة من حقوق وواجبات ونظم وهذه الحقوق والواجبات والنظم منبثقة جميعاً عن العقيدة الإسلامية، التي تقوم على عبودية الإنسان لله سبحانه وتعالى وإفراده بالحاكمية. ومن هذه النظرة العقائدية ننظر إلى الأسرة باعتبارها نعمة من نعم المولى سبحانه وتعالى، مطالبين برعايتها والمحافظة عليها، بجانب القيام بواجب الشكر في مقابلها. وقد ذكر الله هذه النعمة في محكم تنزيله في قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (النحل: ٧٢). وجعل الإسلام كفران هذه النعمة خطيئة من الخطايا التي يرتكبها الإنسان، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾.

وكذلك نظر الإسلام إلى الأسرة باعتبارها آية من آيات الله، والإنسان مطالب بالتأمل والتفكير في آيات الله ليصل إلى الحكمة فيها. قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

مفهوم الأسرة:

الأسرة في الإسلام تبدأ من الأسرة الصغيرة التي تتكون من الآباء والأبناء والزوجات والحفدة، والتي تمتد بعد ذلك وتتسع وتكبر بالزواج. قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا ۚ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ۝ ﴾ (الفرقان: ٥٤). وهذا يعتبر من إبداع الله تعالى ومن رعايته، وكمال قدرته التي تحول بها الالتقاء بين الذكر والأنثى إلى علاقات مصاهرة وهي التي تتم بالزواج، وإلى علاقات نسب وهي التي تتم بالقرابة ولم يكتف الإسلام بهذه العلاقات الطبيعية بل أضاف إليها علاقات الرضاع، وجعل للرضيع أباً وأماً وأقارب كما هي بالنسب، وصار يحرم بالرضاع ما يحرم بالنسب. وكذلك توسع نطاق الأسرة بالقرابات البعيدة الناشئة عن الاشتراك في رحم. قال الله تعالى: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۚ ﴾ (الأنفال: ٧٥). كما توسعت الأسرة بصورة كبيرة بعلاقات الموالاة والمؤاخاه بين المؤمنين والمؤمنات. قال الله تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ (التوبة: ٧١).

وهكذا جعل الإسلام مفهوم الأسرة، يتوسع من الأسرة الصغيرة المحصورة في مجموعة الآباء والأبناء والأحفاد، إلى الأسرة الموسعة التي تشمل المجتمع، وما ينشأ فيه من علاقات أخوة وجوار، فاعتبر الجوار نوعاً من العلاقات المجتمعية التي دعا الله عباده أن يحسنوا إليها. قال الله تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ
السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُحْتَلًّا فَخُورًا ۗ ﴿٣٦﴾
(النساء: ٣٦).

ورويت أحاديث نبوية عديدة تؤيد ما نصت عليه الآيات القرآنية قال
رسول الله ﷺ " **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره** " متفق عليه.
وقال رسول الله ﷺ " **ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت إنه سيورثه** " متفق عليه.

والوسيلة السليمة إلى تكوين هذه الأسرة الكبيرة التي تجمع بين أسر
المجتمع الأخرى، هو تكوين الأسرة الصغيرة، التي تتكون من زوج وزوجة
وآباء وأبناء وحفدة، هي الزواج، وهو الطريق الذي سارت عليه الرسل. قال
تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُم أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً** ﴾
(الرعد: ٣٨).



تدريب:

(١) أجب عن الأسئلة الآتية:

- أ- وضح كيف اهتم التشريع الإسلامي بتنظيم الأسرة.
- ب- لماذا اعتبر الله الأسرة نعمة يجب الشكر عليها؟
- ج- اذكر من الأحاديث ما يؤكد هذه الوصية.
- د- ما الوسيلة لتكوين الأسرة الكبيرة في المجتمع؟

(٢) ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة مع تصويب العبارة الخاطئة:

- أ- تتبثق حقوق وواجبات الأسرة من الأعراف الاجتماعية. ()
- ب- يعد الإسلام الأسرة أحد المعجزات الإلهية. ()
- ج- تتوسع الأسرة من خلال علاقات المؤاخاة بين المسلمين. ()

(٣) ناقش:

كيف تكون الأسرة نواة للمجتمع الصالح.

نشاط:

قم بحصر قرابتك من جهة والديك وما يتفرع عنها.

الزواج

تعريف الزواج:

الزواج في اللغة اقتران شئ بشئ. وتقول زوجت الشئ بالشئ، قرنته به وجعلتهما زوجين. ومنه قوله تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ (الدخان: ٥٤).

وفي الشرع: عقد يحل لكل من الزوجين الإستمتاع بصاحبه. ويعبر كثير من الفقهاء عن موضوع الزواج بالنكاح. والنكاح لغة: الضم والتداخل. ويستعمل في الوطء. النكاح شرعاً: عقد وضع لتمليك منافع البضع.

مشروعية الزواج:

ثبتت مشروعية الزواج في الإسلام بالقرآن والسنة. ففي القرآن قوله تعالى: ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَعًا﴾ (النساء: ٣).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور: ٣٢). وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (الرعد: ٣٨).

أما في السنة: قول الرسول ﷺ في حديث الرهط الثلاثة (لكنني أنا أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني) متفق عليه.

وكذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء) متفق عليه.

مقاصد الإسلام من الزواج:

١. إنَّ في أمر الإسلام بالزواج إستجابة للفطرة البشرية التي جبلت على حب الرجل للمرأة، وحب المرأة للرجل، حيث يستطيع كل واحد منهما أن يشبع حاجاته الجسدية والنفسية، بصورة تحافظ على تماسك المجتمع. قال تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الروم: ٢١).

٢. بالزواج يحافظ على النوع الإنساني من الفناء. ومن أجل ذلك حث الرسول ﷺ على طلب النسل من الزواج. فقد روي معقل بن يسار أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: (يارسول الله إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال أفأتزوجها؟ قال " لا " ثم أتاه الثانية فنهاء، ثم أتاه الثالثة فقال: (تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم) أخرجه أبو داود والنسائي وابن حبان.

والزواج هو الوسيلة المشروعة لتكثير النسل واستمرار الحياة مع المحافظة على الأنساب التي يوليها الإسلام عناية فائقة ؛ كما أن في النسل مصالح عامة ومنافع خاصة في الدنيا والآخرة. قال النبي ﷺ: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) أخرجه مسلم.

وبالنسل تنمو الأمة، ويكثر عددها فتعمر أرضها، وتشتغل طاقتها، وتقوى على مجابهة الأعداء.

٣. في الزواج إتمام الدين، وإعفاف النفس، وصيانتها من الحرام، وفي الحديث (فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج) متفق عليه.

٤. وبالزواج تتم الصلات الاجتماعية، فيضم الإنسان عشيرة إلى عشيرته وأُسرة إلى أُسرته، أولئك هم أصهاره، وأُخوال أولاده، وخالاتهم، وبذلك يتم الترابط الاجتماعي، وتتسع دائرة الإلفة والمودة.

حكم الزواج:

يختلف حكم الزواج باختلاف حال الشخص الذي يريده.

١. هو واجب على الشخص الذي يقدر على تكاليفه وتحمل أعبائه ويخاف على نفسه الوقوع في الزنا، إذا لم يتزوج.

٢. يكون الزواج سنة على من يتوق إليه ويقدر على تحمل أعبائه، والقيام بحقوق المرأة، من وطء ونفقة وعدل وحسن معاشرة، وفي هذه الحالة يكون أولى من الاعتزال للعبادة.

٣. وحكم المرأة في الزواج كحكم الرجل. فالزواج بالنسبة لها قد يصل مرحلة الفرض أو مرتبة المندوب.

تدريب:

أجب عن الأسئلة الآتية:

١. عرّف الزواج في اللغة والشرع.
٢. اذكر أدلة مشروعية الزواج.
٣. ما المقاصد التي يسعى الإسلام لتحقيقها من الزواج؟
٤. ما حكم الزواج لكل من:
أ- الرجل؟
ب- المرأة؟
٥. لماذا يختلف حكم الزواج باختلاف الشخص الذي يريد الزواج؟

نشاط:

- قم بزيارة إلى عالم من علماء الشريعة الإسلامية وأطلب منه أن يحدثك عن:
١. مكانة الزواج في الإسلام.
 ٢. فوائد الزواج.
 ٣. حكم الزواج.

أخيار الزوجة والزوج

أ- اختيار الزوجة:

عني الإسلام باختيار الزوجة الصالحة. ومن توجيهات الإسلام في اختيارها، قول رسول الله ﷺ: " **تتكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك** " أخرجه البخاري ومسلم.

ويفهم من هذا الحديث الآتي:

١. أن تكون متدينة فالمرأة المتدينة تتقي الله في أفعالها، وتصرفاتها على ما أمرها الله. فإنَّ الدين هداية للعقل والضمير.
٢. أن تكون جميلة، والجمال مسألة نسبية، والعبرة فيه بالنسبة لنظر الخاطب. قال رسول الله ﷺ: " **ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته، وإذا أمرها أطاعته** " أخرجه ابن ماجه.

٣. أن تكون ودوداً ولوداً. كما في حديث معقل بن يسار عن رسول الله ﷺ: " **تزوجوا الودود الولود فإنى مكاثركم بهم الأمم** " أخرجه أبو داود والنسائي.
٤. أن تكون بكرًا. لأنَّ البكر سهلة الانقياد، سريعة التطبع بطباع زوجها. وقد قال النبي ﷺ في الحث على زواج البكر لجابر رضي الله عنه: " **هلا تزوجت بكرًا تلاعبها وتلاعبك** " أخرجه البخاري ومسلم.

وليس معنى ذلك أن كل بكر تفضل كل ثيب في الزواج، فقد تدعو الحاجة إلى الزواج من الثيب، ويكون الخير في اختيارها، لأنها أنضج شخصية وأكثر تجربة، وأقدر على تحمل المسؤولية.

ب- اختيار الزوج:

على ولي الفتاة أن يختار لكريمته، فلا يزوجها إلا لمن له خلق ودين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا خطب إليكم من ترضون خلقه ودينه، فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد كبير)** أخرجه الترمذي.

بجانب هذا أن تكون له القدرة على القيام بالحقوق الزوجية، من وطء ومأكل ومشرب وملبس، وأن يحتفظ للزوجة بمكانتها الاجتماعية، وأن يكون سليماً من العيوب والأمراض.

تدريب:

١. لماذا عني الإسلام باختيار الزوجة؟
 ٢. اذكر أهم الصفات التي يجب أن تتوافر في الزوجة.
 ٣. ما الصفات التي يجب توافرها في الزوج؟
 ٤. ما مزايا المرأة المتدينة؟
 ٥. قارن بين مزايا الزوجة البكر والثيب.
 ٦. بيّن شروط الزوج وشروط الزوجة موضحاً نقاط الالتقاء والاختلاف.
 ٧. ناقش:
- الأسس التي يتم عليها اختيار الشباب الآن لزوجاتهم، أو الفتيات لأزواجهن.

الخطبة

الخطبة من مقومات الزواج ؛ وقد أباحها الإسلام قبل الارتباط بعقد الزوجية، ليتعرف كل من الزوجين على صاحبه، ويطمئن إليه ويرضى صفاته وأحواله، ليكون الارتباط على هدى وبصيرة وعفة.

شروط الخطبة:

لاتباح خطبة امرأة إلا إذا توافر فيها شرطان:

أولاً: أن لا تكون المرأة مخطوبة لسواه، لأنّ الخطبة على الخطبة منهي عنها شرعاً. روي عن النبي ﷺ أنه قال : **(لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك)** أخرجه البخاري والنسائي. وذلك مراعاة لحق الخاطب الأول ومنعاً لحدوث العدواة والبغضاء بين الناس. وفي رواية عن النبي ﷺ: **(المؤمن أخو المؤمن، فلا يحل لمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه، حتى يذر)** أخرجه أحمد ومسلم.

ثانياً: أن تكون المرأة المخطوبة خالية من الموانع الشرعية التي تمنع زواجه منها في الحال، سواء كان المانع حرمة مؤبدة كالأخت والعمة والخالة، أو كان المانع حرمة مؤقتة كأخت الزوجة أو عمتها أو خالتها.

حكم خطبة المعتدة:

يُحرم خطبة المطلقة طلاقاً رجعيّاً، ويجوز التعريض بالزواج للمتوفى عنها زوجها، والمطلقة ثلاثاً. وقد ورد في شأن النساء المعتدات بوفاة قوله تعالى: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرْنَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ ﴾ (البقرة: ٢٣٥).

حكم الخطبة من قبل المرأة:

أباح الاسلام للمرأة أن تخطب الرجل، وأن تفصح برغبتها في الزواج من شخص معين، إذا كان كفواً لها في الدين والشرف، كما فعلت ذلك خديجة بنت خويلد، رضي الله عنها، حين أفصحت عن رغبتها في الزواج برسول الله ﷺ. وقد ثبت في الصحيح أن امرأة عرضت نفسها على رسول الله ﷺ، ولم يكن لرسول الله ﷺ فيها رغبة، فقال رجل من الصحابة: زوجني إن لم يكن لك بها حاجة. فأمره أن يلتمس لها مهراً، ولو خاتماً من حديد، فلم يجد شيئاً، فزوجه بها على أن يعلمها سوراً من القرآن.

ولا يوجد مانع شرعي في أن يبدي ولي المرأة رغبته في زواجها من شخص يطمئن إلى دينه وتقواه، فقد عرض شعيب رضي الله عنه إحدى ابنتيه على موسى عليه السلام. كما أخبر القرآن بذلك في قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي أَرِيدُ أَنْ أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ ﴾ (القصص: ٢٧).

حكم النظر إلى المخطوبة:

حرّم الإسلام على الرجل النظر إلى المرأة الأجنبية. وحرّم نظرها إليه. قال تعالى: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴿٣١﴾ (النور: ٣٠ - ٣١).

غير أنّ الإسلام أباح للرجل إذا رغب في زواج امرأة، النظر إليها حتى يقف على هيئتها، ويعرف ما عليها من أوصاف، وللمرأة في هذا الحق كالرجل، يباح لها أن تنظر إلى من يتقدم لخطبتها فإنّه يعجبها منه ما يعجبه منها، لأنّ ذلك أدعى لدوام العشرة بينهما.

وقد أرشد النبي ﷺ المغيرة بن شعبه لما خطب امرأة فقال له: " **انظر إليها فإنّه أحرى أن يؤدّم بينكما** " الترمذي وابن ماجه والنسائي وأحمد. وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (**لو خطب أحدكم المرأة فقدر أن يرى منها بعض ما يدعو به إلى نكاحها فليفعل**) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود.

المواضع التي ينظر إليها:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ الرجل ينظر إلى الوجه والكفين، لأنّ الوجه يستدل به على مقدار الجمال، ويستدل بالكفين على خصوبة البدن أو عدمها، وأضاف بعض الفقهاء النظر إلى القدمين.

واشترطت الشريعة عند إباحتها النظر إلى المخطوبة، والنظر منها إلى الخاطب، أنّ تكون الرؤية في غير خلوة، فقد نهت الشريعة عن اختلاء الرجل بالمرأة الأجنبية سداً لذريعة الفساد. قال رسول الله ﷺ " **لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم** " أخرجه البخاري ومسلم.

وعن جابر رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: (**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس معها محرم منها، فإنّ ثالثهما الشيطان**) أخرجه البخاري وأحمد والترمذي.

تدريب:

أجب عن الأسئلة الآتية:

١. لماذا أباح الإسلام الخطبة؟
٢. لماذا نهى عن الخطبة على الخطبة؟
٣. ما حكم الخطبة من قبل المرأة؟
٤. اذكر المواضع التي يسمح للخاطب رؤيتها. ولماذا؟
٥. هل يجوز أن يخلو الرجل بخطيبته؟ ولماذا؟
٦. اشرح العبارة الآتية: (يجوز التعريض بالزواج للمتوفى عنها زوجها).

المحرمات من النساء

أباح الإسلام للرجال الزواج من النساء، ولكن ليست كل امرأة صالحة للتعقد عليها، بل اشترط في المرأة التي يريد أن يعقد عليها الرجل أن تكون غير محرمة عليه. وتنقسم المحرمات من النساء إلى قسمين:

١- المحرمات تحريماً مؤبداً.

٢- المحرمات تحريماً مؤقتاً.

أولاً: المحرمات تحريماً مؤبداً:

وهنّ اللاتي يكون سبب تحريمهن غير قابل للزوال ؛ وأسباب التحريم المؤبد هي:

أ- النسب ب- المصاهرة ج- الرضاعة . وهي المذكورة في قول الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهُنَّ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ (النساء: ٢٣).

أ- المحرمات بالنسب: وتحصر المحرمات بالنسب في أربع فئات:

(١) أصول الرجل من النساء وإن علون: كأمه وجدته لأمه وجدته

لأبيه قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ ﴾ (النساء: ٢٣).

٢) فروع الرجل وفروع فروعه وإن نزلن: كبناته وبنات بناته وبنات
أبنائه، وإن نزلن قال الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ
وَبَنَاتُكُمْ ﴾ (النساء: ٢٣).

٣) فروع الأبوين وفروع فروعههم وإن نزلن: كأخواته سواء كن
شقيقات، أم لأب، أم لأم، وكذلك فروع الإخوة والأخوات، كبنات
الإخوة، وبنات الأخوات وفروعهن. مهما نزلن في الدرجة قال
الله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ
وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ ﴾ (النساء: ٢٣).

٤) فروع الأجداد والجَدات: كالعمات والخالات، وإن علون في
الدرجة لقوله تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ ﴾.

ب- المحرمات بالمصاهرة:

تتخصر المحرمات بالمصاهرة في أربعة أنواع:

١) أزواج الأصول: وهن زوجات أصوله كزوجة الأب، وزوجة الجد
لأب، وزوجة أب الأم وإن علوا. ويكون التحريم بمجرد العقد
وإن لم يدخل عليها قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ
مِّنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
سَبِيلًا ﴾ (النساء: ٢٣).

(٢) أزواج فروعهم وإن نزلوا: فزوجة الابن من النسب أو من الرضاع، وزوجة ابن الابن، وزوجة ابن البنت، سواء دخل بها أو لم يدخل، يقول الله تعالى: ﴿وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾.

(٣) أصول الزوجة وإن علون: وهن أم زوجتك التي تزوجتها، وأم أمها، وأم أبيها وإن علون ويكون التحريم بمجرد العقد على البنت. وإن لم يتم الدخول بها، قال الله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾.

(٤) فروع الزوجة وإن نزلن: وهن بنت الزوجة التي دخل بها، وبنت بنتها وإن نزلن، فإذا تزوج رجل امرأة وطلقها قبل أن يدخل بها، يحل له أن يتزوج ابنتها من غيره. وهي التي تسمى الربيبة قال تعالى: ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ﴾.

ج- المحرمات بالرضاعة:

ثبت التحريم بالرضاعة من كتاب الله في قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ﴾ وكذلك من السنة النبوية فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **(يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب)** أخرجه البخارى ومسلم.

د- المحرمات من الرضاعة هن:

- (١) المرأة المرضعة وهى أم الرضيع فتتزل منزلة الأم، وتحرم على من أرضعته، هى وكل من تحرم على الابن من جهة أم النسب، فتحرم عليه جداته من جهة أمه المرضعة، ومن جهة أبيه من الرضاعة الذي هو زوج أمه من الرضاعة بسبب اللبن.
- (٢) البنت من الرضاعة. يحرم على الرجل الزواج من ابنته من الرضاعة وكذلك ابنة ابنته ، وإن نزلت.
- (٣) الأخوات من الرضاعة، سواء كن لأب، أو لأم، أو لأب وأم، وكذلك بنات الإخوة والأخوات من الرضاعة.
- (٤) العمات والخالات من الرضاعة، فالعمة هى أخت الأب من الرضاعة والخالة هى أخت الأم من الرضاعة.
- (٥) ابنة الزوجة من الرضاعة، وكذلك ابنة بنتها لأنها تعتبر كالربيبة.
- (٦) أم الزوجة من الرضاعة، وكذلك جدتها وإن علت.
- (٧) زوجة الأب من الرضاعة، وكذلك الجد.
- (٨) زوجة الابن من الرضاعة، وكذلك ابن ابنه وإن نزل.

الرضاع المحرّم:

وأقل الرضاع الذي يحرمّ مصّة واحدة في زمن الرضاع - وقدره سنتان - عند مالك والإمام أبي حنيفة - وخمس رضعات معلومات في زمن الرضاع عند الشافعي وأحمد.

ملحوظة: لا يتأثر آباء الطفل الرضيع وأمهاته ولا أخواته وإخوانه بهذا التحريم، فيجوز لأبيه وأخيه أن يتزوج أم الطفل من الرضاعة وبناتها.

ثانياً: المحرمات على التأقيت:

وهنّ المحرمات مؤقتاً، لوجود حالة خاصة فيهنّ، فإذا زالت هذه الحالة زال عنهن حكم الحرمة، وهنّ:

(١) الجمع بين المحارم: فلا يجمع بين الأختين لقوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا

بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ (النساء: ٢٣).

كما حرّمت السنة أن يجمع بين المرأة وخالتها، وبين المرأة وعمتها، أو بنت أخيها، أو بنت أختها. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن النبي صلى الله عليه وسلم (نهى أن يجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها) أخرجه البخاري ومسلم.

ضابط عام:

يحرم أن يجمع في بيت الزوجية في آن واحد بين امرأتين لو فرض أن إحداهما ذكر، حرمت عليه الأخرى.

(٢) المطلقة ثلاثاً: حتى تتزوج زوجاً غيره ويدخل بها ثم يطلقها. قال

الله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا

غَيْرَهُ﴾ (البقرة: ٢٣٠).

(٣) المرأة الزائدة على أربع: إذا كان الرجل متزوجاً من أربع نساء، فليس له أن يتزوج خامسة حتى يطلق إحداهن وتنتهي عدتها، أما إذا طلق واحدة طلاقاً لا رجعة فيه، مثال: كالمطلقة ثلاثاً، جاز أن يتزوج غيرها بمجرد الطلاق.

(٤) زوجة الغير: أي المتزوجة، تكون محرمة على غير زوجها حتى يفارقها بطلاق، أو موت، أو تنقضي عدتها. قال الله تعالى:

﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

﴾ (النساء: ٢٤).

(٥) النساء الكافرات: يحرم على المسلم أن يتزوج المرأة الكافرة التي لا تدين بأي دين سماوي كالملاحدة والبوذية وعابدة الوثن والكواكب والملائكة والجن وكذلك المرتدة عن الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُوْمِنَ﴾ (البقرة: ٢٢١)، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ (الممتحنة: ١٠).

(٦) المحرمة بحج أو عمرة: لا يجوز العقد عليها حتى تحل من إحرامها روى عن النبي ﷺ: **(لا يتكح المحرم ولا يُنكح ولا يخطب)** أخرجه الجماعة إلا البخاري.

(٧) الخنثى مشكل: من له آلة ذكورة وآلة أنوثة، فيحرم التزوج حتى تتضح الحقيقة من حيث الذكورة أو الأنوثة.

(٨) المرأة الزانية التي اشتهرت بالزنا: يحرم على المسلم أن يتزوج المرأة الزانية حتى تتوب توبة صحيحة تشتهر بها وتنقضي عدتها.

تدريب:

أجب عن الأسئلة التالية:

١. المحرمات على التأبيد فئات، اذكرها.
٢. ما الحكم الشرعي فيما يأتي؟ أيد إجابتك بالدليل:
 - أ- زواج البنت بزواج أمها؟
 - ب- زواج المسلم بامرأة بوذية؟
 - ج- زواج المسلم بملحدة؟
٣. هل يجوز للرجل أن يتزوج عمة أبيه؟
٤. بيّن عدد الرضعات التي تحرم الزواج؟
٥. ناقش: يجوز للمسلم أن يتزوج الكتابية ولا يجوز للكتابي أن يتزوج المسلمة.

أركان الزواج

يلزم لصحة الزواج توافر أربعة أركان هي:

١- الولي:

الولاية شرط من شروط النكاح، ولا يصح بدونها، وذلك لما جاء عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ: **(أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فإن دخل بها فلها المهر بما استحلت من فرجها، فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له).** أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي.

وعن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا نكاح إلا بولي " أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. وتنقسم الولاية إلى قسمين:

ولاية إجبارية واختيارية: والولاية الإجبارية هي الولاية الكاملة : وهذه لا تثبت إلا للأب فقط، أو وصى الأب. ولا تثبت هذه الولاية على الولد الذكر البالغ العاقل، فلا يجوز لأحد أن يزوجه لا أب ولا غيره إلا بإذنه، وكذلك النيب البالغة العاقلة فلا يجوز لأحد أن يزوجه بغير إذنها. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " **لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا تنكح البكر حتى تستأذن** " قالوا يا رسول الله: وكيف إذن؟ قال: " **أن تسكت** " أخرجه البخاري ومسلم.

أما الاختيارية، فتثبت لكل الأولياء، حسب جهة القرابة ودرجتها.

شروط الولاية:

يشترط في الولي أن يكون ذكراً بالغاً عاقلاً حراً، وأن يكون مسلماً إن كان المولى عليه مسلماً. لقوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء: ١٤١) كما يشترط أن لا يكون الولي محرماً بحج أو عمرة لقوله ﷺ: **(لا يَنْكِحَ المحرم ولا يُنْكَحَ)** أخرجه مسلم.

٢- المحل: وهما الزوجان ويشترط فيهما:

- أ- أن يكون كل منهما كامل الأهلية بالغاً عاقلاً مختاراً.
- ب- يشترط العلم بأنوثة المرأة وذكرورة الزوج.
- ج- يشترط في الزوجة أن لا تكون محرمة على الزوج تحريماً مؤبداً أو مؤقتاً.
- د- وأن لا يكون أحدهما أو كلاهما محرمين بحج أو عمرة.
- هـ- ويشترط في الزوجة أن تكون معينة حالة العقد.
- و- أن يكون الزوج كفواً للزوجة. وكفاءة الزوج أن يكون حراً ذا خلق ودين وأمانة.
- ز- الاتفاق على إعلان الزواج.

شروط الزوج:

١. إسلام الزوج.
٢. الخلو من أربع زوجات.
٣. الخلو من امرأة يحرم جمعها ممن يريد الزواج منها في الحال، ولا تحرم إذا طلقها وتزوج قريبتها بعد انقضاء عدة المطلقة.

شروط الزوجة:

١. خلوها من الزوج.
 ٢. خلوها من عدة رجل آخر غير الذي يريد أن يتزوجها.
 ٣. أن تكون مسلمة أو كتابية حرة.
 ٤. أن لا تكون مطلقة طلاقاً بائناً بينونة كبرى كطلاق الثلاث ممن يريد الزواج منها مرة ثانية.
- ٣- **صيغة العقد:** إنّ الركن الأساسي في الزواج هو رضا الطرفين، وتوافق إرادتهما في الارتباط. وصيغة العقد هي اللفظ الدال على حصول النكاح مثاله في الإيجاب: انكحتك ابنتي. ومثاله في القبول: قبلت زواجها لموكلي، أو لنفسي إذا كان هو الزوج.

ما يشترط في صيغة العقد:

- أ- أن يتحد مجلس القبول والإيجاب. بمعنى ألا يفصل بين القبول والإيجاب بكلام أجنبي أو بما يعد في العرف إعراضاً وتشاغلاً عنه بغيره، ولا يشترط أن يكون القبول بعد الإيجاب مباشرة، أما إذا هرب أحد العاقدین من المجلس قبل قبول الآخر لم ينعقد النكاح.
- ب- أن يكون القبول موافقاً للإيجاب. فإذا خالفه لم ينعقد، إلا إذا كانت المخالفة إلى ما هو أحسن للموجب؛ كأن يقول الموجب: زوجتك ابنتي

على مهر قدره خمسون ألف دينار - فقال القابل قبلت زواجها بمائة ألف دينار.

ج- أن يكون كل من القبول والإيجاب منجزاً. فلا يصح أن يكون مضافاً لزمن، نحو: زوجتك إذا ما جاء وقت الحصاد. أو جاء رمضان، وكذلك لا يكون معلقاً على أمر مستقبل معلوماً أو مجهولاً، نحو: زوجتك إذا دخلت الجامعة، أو إن رضي أبناء عمومتها.

د- يشترط في العقد أن يكون دائماً غير مؤقت بمعنى:

١. أن لا يكون العقد على صيغة نكاح المتعة. وذلك للحديث المتفق

عليه عن علي عليه السلام (أن رسول الله ﷺ نهى عن نكاح المتعة ولحوم الحمر الأهلية عام خيبر) أخرجه البخاري ومسلم.

٢. أن يكون العقد خالياً من شرط نكاح التحليل*. فعن ابن مسعود

رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له) أخرجه الإمام

أحمد والنسائي والترمذي.

٣. أن لا تكون صيغة العقد على طريقة نكاح الشغار. فعن ابن عمر

- رضي الله عنهما - (أن رسول الله ﷺ نهى عن الشغار،

والشغار أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه ابنته وليس

بينهما صداق) أخرجه البخاري ومسلم.

وحكم هذا النكاح أن يفسخ.

الوكالة في العقد:

تصح الوكالة في العقد. فللزوج أن يوكل من شاء. لما روى أن النبي ﷺ:

(وكل أبا رافع رضي الله عنه في تزويجه ميمونة)، (ووكل النجاشي في تزويجه أم حبيبة

بنت أبي سفيان).

* نكاح التحليل: هو أن يتزوج رجل المطلقة ثلاثاً بعد إنقضاء عدتها، ويدخل بها ثم يطلقها ليحلها للزوج الأول.

ويصح أن يتولى الوكيل طرفي العقد، أي بأن يكون وكيلاً من جانب الزوج ومن جانب المرأة. فيقول: زوجت فلانة من فلان، ويكون ذلك بحضور شاهدين. ويصح التوكيل من الرجل الحر العاقل البالغ الكامل الأهلية. يرى أهل العلم أن الشهادة على الزواج شرط لصحته. فعن عمران ابن الحصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: " لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل " أخرجه الإمام أحمد والدارقطني.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال: " البغايا اللاتي ينكحن أنفسهن من غير بينة " أخرجه الترمذي في سننه. ويشترط في الشهود: الذكورة، والعقل، والبلوغ، والعدالة، والإسلام ؛ وأن يسمعا القبول والإيجاب معاً.

فإن قلّت العدالة يمكن الإستكثار من الشهود مثل الثلاثين والأربعين.

٤ - الصداق:

هو المال الذي يجب على الزوج أن يدفعه للزوجة عند النكاح في مقابلة منافع البضع كما في قوله تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (النساء: ٤) ويسمى أجراً وفريضة ومهرأ مقدار الصداق: لم يذكر الفقهاء للصداق مقداراً أعلى فيجوز أن يكون كثيراً لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ (النساء: ٢٠).

وكذلك يرى كثير من الفقهاء أن الصداق ليس له حد أدنى، بل كل ما جاز أن يكون مالاً جاز أن يكون صداقاً واحتجوا بقول النبي ﷺ للذي زوجه: " هل عندك من شيء تصدقها " قال: لا أجد، قال له: " التمس ولو خاتماً من حديد".

وكذلك ما رواه عامر بن ربيعة عن أبيه أن امرأة من فزارة تزوجت على نعلين، فقال لها رسول الله: " **أرضيت من نفسك ومالك بنعلين؟** " قالت: نعم ، قال: " **فأجازه** " أخرجه البيهقي وأحمد والترمذي.

ما يشترط في الصداق:

١. أن يكون الصداق مالاً متقوماً معلوماً، أو منفعة معلومة مباحة.
٢. يجب أن يكون طاهراً، فلا يكون ميتة ولا خمرأ ولا خنزيراً، لأن ذلك ليس بمال في نظر الشريعة الإسلامية.
٣. أن تتمكن من حيازته فلا يصح، بالطائر في الفضاء أو السمك في البحر أو الصيد في الخلاء.

استحقاق المهر:

١. تستحق المرأة المهر كاملاً في حالة الدخول الحقيقي، أو الخلوة الصحيحة.
٢. وتستحق المهر كاملاً بموتها، أو بموت الزوج ولو لم يحصل اتصال بينهما. وقد قضى رسول الله ﷺ لبرؤع بنت واثق بأن تعطى الصداق كاملاً، ولها الميراث وأنّ عليها العدة. وقد كان زوجها قد مات قبل أن يدخل بها. الحديث أخرجه الترمذي.
٣. وتستحق نصف المهر إذا طلقها زوجها قبل أن يخلوا بها خلوة صحيحة، أو يدخل بها، وذلك لقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوتَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ** ﴾ (البقرة: ٢٣٧).

متعة الزوجة:

والمتعة في اللغة التمتع ومثلها المتاع. وفي الشرع اسم لمال يدفعه الزوج لزوجته التي فارقها، وسبب إيجابها على الزوج إباحته لزوجته بفرقة لا يد لها فيها، والدليل عليها قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ^ط حَقًّا عَلَى الْحَسَنِينَ﴾ (البقرة: ٢٣٦). وقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ^ط حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٢).

ومقدار المتعة يعتبر بحال الزوج في يساره وعسره، ولا تزيد المتعة على نصف مهر المثل.

كراهية المغالاة في المهور

لم تحدد الشريعة الإسلامية حداً أعلى لأكثر المهر، ولم تمنع أحداً أن يدفع لزوجته ما تريد أو يريد من المهر. وعندما أراد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يمنع الناس من الزيادة في المهور عما تزوج به الرسول ﷺ ومهر به نساءه، وكذلك عما زوج به بناته، وقفت امرأة وقالت: " **إِنَّ اللَّهَ يَصْحَ لَنَا غَيْرَ مَا تَأْمُرُنَا بِهِ** " فقال: ماذا قال؟ قالت: قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَبْدُلُوا زَوْجَ مَكَانِ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا** 》 (النساء: ٢٠) فتراجع عمر عما هم به. أخرجه البيهقي والطحاوي بروايات مختلفة.

ورغم عدم التحديد لأكثر المهر، إلا أن الشريعة الإسلامية حثت على عدم المغالاة في المهور، حتى تتاح الفرصة لأكثر عدد من الرجال والنساء ليستمتع بالحلال الطيب.. فعن عائشة - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال: " **أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَهْرًا** " أخرجه النسائي. وفي رواية " **إِنْ مِنْ يَمَنِ الْمَرْأَةُ تَيْسِيرَ خُطْبَتِهَا وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا وَتَيْسِيرَ رَحْمَتِهَا** " أخرجه أحمد. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: (**لَا تَغْلُوا فِي صَدَقِ النِّسَاءِ، فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرَمَةً فِي الدُّنْيَا أَوْ تَقْوَى فِي الْآخِرَةِ كَانَتْ أَوْلَاكُمْ بِهِمَا النَّبِيُّ ﷺ**). ما أصدق رسول الله ولا أصدق امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية) أخرجه أحمد والنسائي وغيرهم.

فالمغالاة في المهور تعطي أكثر الشباب فرصة الاعتذار عن الزواج، والعزوف عنه، وفي ذلك مفسد عظيم لا تخفى على أحد.

وليمة العرس:

وليمة العرس سنة مشروعة، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه أمر بها وفعلها. عن أنس رضي الله عنه قال: " ما أولم رسول الله ﷺ ما أولم على زينب فإنه ذبح شاه " أخرجه البخاري ومسلم.

وكذلك لقول النبي ﷺ لعبد الرحمن بن عوف (أولم ولو بشاة) أخرجه البخاري ومسلم.

وتسن الوليمة حتى ولو لم يكن فيها ذبح كما جاء في صحيح البخاري، أن النبي ﷺ أولم على بعض نسائه بمدين من شعير .

وليمة العرس مستحبة وليست بواجبة، وأما الإجابة إلى دعوة الوليمة فإنها واجبة على من دُعي إليها. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (إذا دُعي أحدكم إلى وليمة فليأتها) أخرجه البخاري ومسلم. ويكره أن يدعى إلى الوليمة الأغنياء دون الفقراء.

تدريب:

١. ما الشروط التي يجب توافرها في الشهود؟
٢. ما شروط العقد الدائم؟
٣. عرّف الصداق؟
٤. ما مقدار الصداق الذي حدده الشرع؟
٥. اذكر الآثار السيئة للمغالاة في المهور.
٦. متى تستحق المرأة المهر كاملاً؟
٧. عرّف المتعة؟
٨. كيف يحدد مقدار المتعة؟
٩. ما حكم وليمة العرس؟ وما الدليل عليها؟
١٠. اذكر الدليل على وجوب إجابة الدعوة للوليمة.
١١. ما حكم ما يأتي:

أ- الولاية؟ ب- الشهادة؟ ج- الوكالة في الزواج؟

الحقوق الزوجية

بعد أن يتم العقد بصورة صحيحة، ويكون نافذاً تترتب عليه آثاره، وتجب بمقتضاه الحقوق الزوجية، و تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

أولاً: **حقوق الزوجة على زوجها:** وهذه الحقوق ثبتت بقوله تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨) ومن هذه الحقوق.

١. **المهر:** وهو المال الذي تستحقه المرأة في مقابل البضع، ويجب لها عند الزواج وقد تقدم الحديث عنه.

٢. **النفقة** عليها من طعام وشراب وسكن، لقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ (الطلاق: ٦ - ٧).

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: **"فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه. فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح. ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف"**. أخرجه مسلم وأبو داود.

وتجب النفقة بقدر الكفاية. وليس لها مقدار معين، ولا يوجد لها حد ثابت.

٣. **العدل** بين الزوجات: إذا كان للرجل أكثر من زوجة وجب عليه أن يعدل بينهن في الطعام والشراب والسكن والملبس والمعاشرة، وسائر الأمور

الحسية. قال ﷺ: (من كانت له امرأتان فمال نحو إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل) أخرجه الترمذي.

٤. الإحسان في معاملتها، على الزوج أن يعامل زوجته معاملة حسنة وعليه أن يتحمل ما يصدر منها من طيش فيصبر عليها لقوله تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَتَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (النساء: ١٩).

وقد حث النبي ﷺ على الإحسان إلى المرأة وأمر بالرفق بها في أحاديث كثيرة. فقد جعل من مظاهر اكتمال الخلق وعلو الإيمان أن يكون الرجل رفيقاً رفيقاً مع أهله وقال ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لأهله) أخرجه أبو داود والترمذي.

ولا يتصور في الإنسان الكمال، ولذا على الزوج أن يتقبلها على ما هي عليه. قال رسول الله ﷺ: " استوصوا بالنساء خيراً فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضَلَعٍ أَعْوَجَ، وَإِنْ أَعْوَجَ مَا فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا " أخرجه البخاري ومسلم.

ثانياً: حق الزوج على زوجته: للزوج على زوجته حقوق ثابتة أوجبها قوله تعالى: ﴿ وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة: ٢٢٨) وهذه الحقوق هي:

١- طاعة الزوجة لزوجها: فرضت الشريعة الإسلامية على المرأة أن تطيع زوجها فيما يرضي الله، وهذه الطاعة سبب لدوام المودة بين الزوجين، وتدفع الزوج إلى تحمل مسؤولياته الأسرية وبطاعة المرأة لزوجها تكون

قد قدمت لأبنائها القدوة الحسنة فيقبلون على طاعتها وطاعة أبيهم. عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال **(إذا صلت المرأة خمسها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها أدخلي الجنة من حيث أبواب الجنة شئت).** أخرجه أحمد والطبراني.

٢- البقاء في منزل الزوج فلا تخرج منه بدون ضرورة إلا بإذنه. قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

٣- أن لا تدخل أحداً بيته إلا بإذنه أجنبياً كان أو قريباً قال رسول الله ﷺ **(لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه، ولا تأذن في بيته إلا بإذنه)** أخرجه البخاري ومسلم.

٤- أن تخلص له وتحسن معاشرته، وتتعاون معه في جلب الخير، ودفع الشر، وأن تعمل على إرضائه، وإدخال السرور على نفسه، كما عليها أن تصون نفسها عما يندس شرفها وتحافظ على كرامتها وكرامة زوجها ؛ وأن تعتني بأولادها وتنشئهم على العقيدة السليمة والصفات الإسلامية الحميدة، وأن تحافظ على مال زوجها ولا تنفقه إلا بإذنه. قال عليه الصلاة والسلام: **" ولا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها "** أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد.

ثالثاً الحقوق والواجبات المشتركة بين الزوجين:

١. المعاشرة بالمعروف والمعاملة بالحسنى. قال الله تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ

الَّذِي عَلَيْهِنَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

وقال ﷺ في حث الزوج على معاملة زوجته بالمعروف: " **أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وخياركم خياركم لنسائهم** " أخرجه ابن حبان والترمذي وابن ماجة.

٢. حل العشرة الزوجية والاستمتاع. وهذا حق الزوجين ولا يحصل إلا بمشاركتهما معاً. قال الله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣).

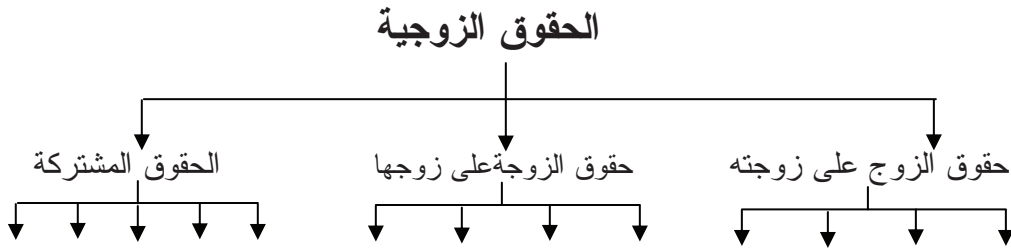
٣. التوارث: الزواج الذي يثبت به التوارث ما كان صحيحاً وقائماً إلى حين الوفاة. فإذا مات أحدهما فإن الآخر يستحق الميراث وحتى لو حصل الموت قبل الدخول لأن الرسول ﷺ قضى في بروع بنت واثق أن لها الميراث وكان زوجها مات قبل الدخول عليها.

٤. حرمة المصاهرة: أي أن الزوجة تحرم على آباء الزوج وأجداده، وأبنائه وفروع أبنائه وبناته، كما يحرم هو على أمهاتها، وفروع أبنائها وبناتها.

٥. المسؤولية المشتركة عن الأسرة. قال ﷺ: **(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، المرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيته.. إلى قوله ﷺ وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)** أخرجه البخاري.

تدريب: أجب عن الأسئلة الآتية:

١. اذكر الدليل على حقوق الزوجة على الزوج.
٢. ما الحقوق الخاصة بالزوجة؟
٣. ذكر (العدل) من بين الحقوق التي تستحقها الزوجة:
 - أ- ما العدل المطلوب؟
 - ب- فيم يكون العدل؟
٤. ما حق الزوج على زوجته؟
٥. هل تستطيع جميع النساء الوفاء بهذا الحق؟ ولماذا؟
٦. اذكر الحقوق المشتركة بين الزوجين، مع مناقشة كل حق على حدة.
- ٧- أكمل الجدول الآتي:



الطلاق

إن الحياة الزوجية الدائمة المستقرة، من مقاصد الإسلام التي يسعى لتحقيقها، لذا جعل أساس عقد الزواج أن يكون مؤبداً، فحرم نكاح المتعة والنكاح المؤقت، ونكاح التحليل. ذلك لأن الزواج لا يمكن أن يؤتى ثماره الطيبة، من السكون والمودة والرحمة والذرية الصالحة إلا بالحياة الزوجية المستقرة.

ورغم ما وضعه الإسلام من قواعد وأسس لاستمرار الحياة الزوجية واستقرارها إلا أنه قد يطرأ عليها ما يعكر صفوها فيقع خلاف بين الزوجين يؤدي إلى فراقهما. ولذا وضعت الشريعة الإسلامية حلاً لا يمكن أن تساعد على حل الخلافات بين الزوجين، وإعادة الوئام بينهما، حتى لا يلجأ الزوجان إلى الطلاق إلا بعد تعذر هذه الحلول الممكنة، التي بينها القرآن الكريم، وأرشد إلى العمل بها كلها حسب ترتيبها قبل اللجوء إلى الطلاق، وهذه الحلول هي:

١. أرشد الزوج إلى أن يحسن معاشرة زوجته ويرفق بها ويصبر عليها إبقاء على رباط الزوجية. قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩).

٢. أرشد الزوجة التي تحس من زوجها فتوراً في العلاقة الزوجية، وإعراضاً عنها إلى ما يمكن أن تفعله، ويكون له الأثر الحسن في عودة النفوس إلى صفائها. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء: ١٢٨).

٣. وجه الرجل الذي يرى علامات النشوز من زوجته أن يعظها، فإن لم ينفع الوعظ فليهجرها في المضجع، فإن لم ينفع الهجر فله أن يضربها ضرباً غير مبرح (أي لا يكسر عظماً ولا يخدش لحماً). قال الله تعالى ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ (النساء: ٣٤).

٤. فإن عظم الخلاف بين الزوجين. واشتدت العداوة والبغضاء، وصار كل واحد منهما يدعى أن صاحبه ظلمه، شرع الإسلام وسيلة الإصلاح بالحكمين. أحدهما من أهل المرأة والآخر من أهل الرجل ليصلحا بينهما. قال الله تعالى: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْتَغُوا حَكْماً مِّنْ أَهْلَيْهِ وَحَكْماً مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً خَبِيراً﴾ (النساء: ٣٥) فإن عجز الحكمين عن الإصلاح بينهما. فهذا دليل على أن الشقاق عظيم والعداوة مستحكمة بين الزوجين، ولا مفر من وقوع الطلاق.

تعريف الطلاق:

في اللغة: حل الوثاق.

وفي الشرع: حل رابطة الزواج بلفظ صريح أو عن طريق الكناية.

حكم الطلاق: الطلاق جائز في الشرع، لرفع الضرر عن أحد الزوجين لقوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

وقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾

(الطلاق: ١).

والدليل على مشروعية الطلاق من السنة، ما رواه عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر رضي الله عنه عن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: **"مره فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر. ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق، قبل أن يمس. فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء"** أخرجه البخاري ومسلم.

ويكون الطلاق مستحباً إذا كانت المرأة لا تؤدي الفرائض الدينية وتصر على تركها، ولم تتج معها الموعظة الحسنة والإرشاد الحكيم. ويكون الطلاق واجباً إذا استحکم النزاع بين الزوجين وعجز الحكمان عن الإصلاح، ورأيا التفريق بينهما. كما يكون واجباً إذا تأكد الرجل من أن زوجته زانية ولم تتب، لقوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرَكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٣).

ويكون الطلاق محرماً إذا طلقها على خلاف السنة، وهو أن يطلقها وهي حائض أو في طهر مسها فيه، ويسمى طلاق البدعة، لأن المطلق خالف قوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾. وترك السنة لحديث ابن عمر السابق. ويكون الطلاق مكروهاً إذا لم يوجد سبب يدعو إليه، لحديث ابن عمر عن النبي ﷺ: **(أبغض الحلال إلى الله الطلاق)** أخرجه أبو داود وابن ماجه.

ويرى بعض الفقهاء أنه يكون حراماً لما فيه من ضرر يلحق بالرجل وبزوجته، لأن الزواج رابطة مقدسة، وميثاق غليظ، وحل هذه الرابطة لمجرد نزوة طارئة، أو رغبة في التنقل من امرأة لأخرى يكون حراماً.

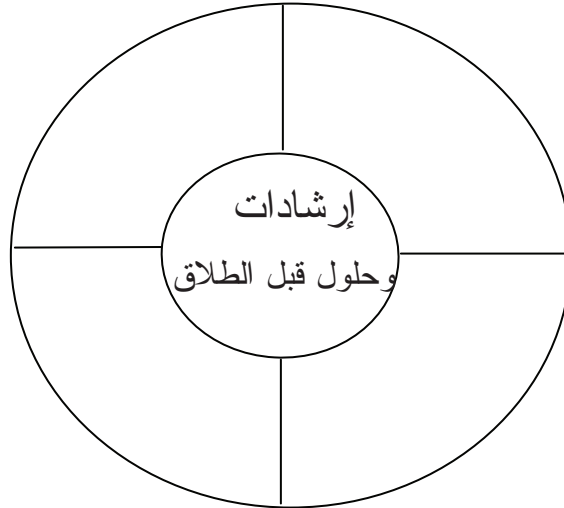
طلب الطلاق من المرأة:

لا يجوز للمرأة أن تطلب من زوجها الطلاق إلا إذا تضررت منه ضرراً لا ينفع معه الاستمرار وبعد استشارة العلماء وأهل الحل والعقد لقوله ﷺ: "أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ" أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد وصححه الألباني وقال رواه الخمسة إلا النسائي.

تدريب:

أجب عن الأسئلة الآتية:

١. متى يلجأ الزوجان إلى الطلاق؟
٢. عرف الطلاق في اللغة والشرع؟
٣. ما حكم الطلاق؟
٤. متى يكون الطلاق: مكروهاً أو واجباً أو محرماً؟
٥. اذكر دليلاً على مشروعية الطلاق من الكتاب والسنة.
٦. املأ الدائرة الآتية:



أقسام الطلاق

أقسام الطلاق من حيث صفته الشرعية:

ينقسم الطلاق من حيث صفته الشرعية إلى طلاق سني وطلاق بدعي.

١ - الطلاق السني:

هو الطلاق المشروع الذي ندب إليه الشرع، وهو أن يطلق الرجل زوجته المدخول بها، وهي من ذوات الحيض، طقة واحدة في طهر لم يمسا فيه لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ (الطلاق: ١).

أما طلاق الحامل التي استبان حملها، والآيسة والصغيرة، أو التي لم يدخل بها، فطلاقهن جائز.

٢ - الطلاق البدعي:

هو الطلاق الذي يكون مخالفاً للشرع، وهو أن يطلق الرجل زوجته حائضاً أو نفساء أو في طهر مسها فيه، أو أن يطلقها ثلاثاً بكلمة واحدة، أو يطلقها ثلاث مرات متفرقات في مجلس واحد. ومن يفعل ذلك يكون آثماً ومخالفاً للشرع.

أنواع الطلاق:

الطلاق نوعان هما:

(أ) الطلاق الرجعي:

ويسري حكم الطلاق الرجعي خلال فترة العدة.

ويجوز خلال هذه الفترة أن يراجع الرجل زوجته التي دخل بها دخولاً حقيقياً إلى عصمته بدون موافقتها. وبدون عقد ومهر جديدين ما دامت في العدة. قال الله تعالى ﴿وَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾

(البقرة: ٢٢٨). ويقع هذا النوع في الطلقة الاولى والثانية فقط.

وفي الطلاق الرجعي إذا مات أحدهما يورثه الآخر ما دامت العدة لم تنتقض.

والرجعة من حق الزوج، لا تحتاج لولي، ويستحب الإشهاد فيها، لقوله

تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَىٰ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ (الطلاق: ٢).

(ب) الطلاق البائن:

ينقسم إلى بائن بينونة صغرى، وطلاق بائن بينونة كبرى.

(١) الطلاق البائن بينونة صغرى:

هو الطلاق الذي لا يملك الزوج إعادة زوجته إلى عصمته إلا بعقد ومهر جديدين، ولا يرث أحدهما الآخر. ويكون الطلاق بائناً بينونة صغرى في الحالات الآتية:

أ. إذا انقضت عدة الزوجة بعد الطلاق الرجعي.

ب. إذا طلق الرجل زوجته قبل أن يدخل بها، ولها الحق في نصف المهر ولا عدة عليها.

ج. الطلاق للعيب أو السجن أو لغيبة الزوج غيبة طويلة. ولا يقع هذا الطلاق إلا بحكم القضاء وتجب فيه العدة.
د. إذا وقع الطلاق بقرار الحكّمين، إذا رأيا أن الطلاق أصلح من الإبقاء على الزواج.

هـ. الطلاق عن طريق الخلع:

- والخلع لغة النزع، ويقال خلع الرجل ثوبه إذا نزعته. ويسمى الفداء لأن المرأة تفتدي نفسها بمال تبذله لزوجها.
- وفي الشرع: هو فراق بين الزوجين بعوض تدفعه الزوجة. والخلع جائز ويكون برضا الطرفين، فإذا كرهت المرأة الزوج لخلقه، أو سوء خلقه، أو دينه، وخشيت ألا تؤدي حقوق الزوجية جاز لها أن تخالعه بعوض.

والعوض جزء أساسي من مفهوم الخلع. فإذا لم يتحقق العوض لا يتحقق الخلع، وكل ما جاز أن يكون مهراً جاز أن يكون عوضاً. والدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ (البقرة: ٢٢٩).

ويرى بعض الفقهاء أنه لا يجوز أن يأخذ الرجل منها أكثر مما أعطاهما. والدليل ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه من خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: "أتردين عليه حديقته". قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ: "أقبل الحديقة وطلقها تطليقة". أخرجه البخاري والنسائي.

ويجوز الخلع في الطهر والحيض. ولا يقيد وقوعه بوقت ويعتبر الخلع طلاقاً بائناً بينونة صغرى، وعلى المرأة أن تعتد بحيضة. و. الطلاق بسبب الإيلاء:

الإيلاء في اللغة: الامتناع باليمين. وفي الشرع: الحلف باليمين على ترك وطء الزوجة. وأقل ما ينعقد به الإيلاء أربعة أشهر. وقد حدد الشارع لمن يحلف ألا يمسه زوجته أكثر من أربعة أشهر إما أن يفئ، وإما أن يطلق لقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلِّونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۚ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾ (البقرة: ٢٢٧ - ٢٢٦).

فإن فاء قبل انتهاء المدة، انتهى الإيلاء، ولزمه كفارة اليمين، أما إذا مضت المدة ولم يفء فللزوجة أن تطالبه إما بالوطء وإما بالطلاق. والطلاق الذي يقع بالإيلاء، بائن بينونة صغرى. وعلى الزوجة أن تعتد عدة المطلقة.

٢) الطلاق البائن بينونة كبرى:

هو الذي يكون بوقوع الطلقة الثالثة، وبه تنقطع الحياة الزوجية، فلا تحل لزوجها حتى تتكح زوجاً غيره نكاحاً صحيحاً، ويدخل بها دون إرادة التحليل. لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۚ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾ (البقرة: ٢٣٠).

(٣) من أنواع الفراق الأخرى:

الظهار :

هو أن يقول الرجل لامرأته أنت عليّ كظهر أمي ؛ ويرى جمهور العلماء أنّ الظهار يكون بتشبيه الزوجة بكل محرمة عليه تحريماً مؤبداً ؛ كالبنات والجدة والأخت والعمة والخالة.

وحكم الظهار أنه حرام لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ ۖ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ۖ﴾ (المجادلة: ٢).

ولا يكون الظهار إلا من كل زوج صح طلاقه، وهو البالغ العاقل المختار.

ويترتب على الظهار حرمة إتيان الزوجة، حتى يكفر كفارة الظهار إذا قرر العودة، وهى: عتق رقبة فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين. فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكيناً، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٦ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ۖ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَا ۚ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ﴾ (المجادلة: ٣ - ٤).

تدريب:

أجب عن الأسئلة الآتية:

١. ما نوعا الطلاق من ناحيته الشرعية؟
٢. اذكر الفرق بين الطلاق البدعي والسني.
٣. ما الفرق بين الطلاق الرجعي، والطلاق البائن بينونة صغرى والطلاق البائن بينونة كبرى؟
٤. عرف الخلع. واكتب الدليل على مشروعيته.
٥. ما الفرق بين عدة الخلع، والإيلاء، والطلاق؟
٦. اذكر كفارات أخرى تشبه كفارة الظهارة.

من يوقع الطلاق

الطلاق من حق الرجل وحده لقوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ (البقرة: ٢٣٦) ولقوله ﷺ: **(إنما الطلاق لمن أخذ بالساق)** أخرجه ابن ماجة. ووضع الشارع الطلاق بيد الرجل، لأنه أحرص على بقاء الحياة الزوجية، فهو الذي يتضرر منه، إذ هو الذي يدفع المهر ويتولى الإنفاق على مطلقته في عدتها. ويكون عليه مؤخر المهر، وأجرة الحضانة والرضاعة، ومسئولية تربية الأولاد. والرجل يفكر كثيراً قبل أن يقدم على هذه الخطوة التي تكلفه كثيراً. ولذلك فالرجل بمقتضى عقله ومزاجه يكون أصبر على ما يكره من المرأة، فلا يسارع إلى الطلاق. أمّا المرأة فإنّها أسرع غضباً وأقل احتمالاً، وليس لها من تبعات الطلاق ما على الرجل، فهي أقرب إلى حل عقد الزوجية، ولذا ليس للمرأة الحق في الطلاق، إلا إذا فوضها الزوج فيه.

ويشترط فيمن يوقع الطلاق أن يكون مكلفاً. والمكلف هو البالغ العاقل المختار لقول الرسول ﷺ: **"رفع القلم عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يعقل، وعن الصبي حتى يكبر"** وفي رواية **(حتى يحتلم)** أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجة. وكذلك لقول الرسول ﷺ: **"رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"** أخرجه ابن حبان والدارقطني والبيهقي.

حكم النيابة في الطلاق:

الأصل في الطلاق أن يكون بيد الرجل فهو من حقه، ولكن قد ينقل هذا الحق إلى غيره، فيوكل فيه. أو يمكن أن يفوض إلى المرأة أمر الطلاق وذلك

لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌّ لِّلْأَزْوَاجِ إِن كُنتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمْتِعْكَنَّ وَأُسرِّحْكَنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْأَرْوَءَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٢٨- ٢٩) وقالت عائشة - رضي الله عنها: " خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، فلم يعد شيئاً " وفي رواية " فلم يعد ذلك طلاقاً " أخرجه البخاري ومسلم.

من يقع عليها الطلاق:

يقع الطلاق على المرأة إذا كانت محلاً له، وتكون المرأة محلاً له في الحالات الآتية:

- ١- أن يكون عقد الزواج قائماً بين الرجل وزوجته، بمعنى أن تكون المرأة في عصمته.
- ٢- إذا كانت معتدة من طلاق رجعي، أو معتدة من طلاق بائن بينونة صغرى.

ما يقع به الطلاق:

يقع الطلاق بكل ما يدل على إنهاء الحياة الزوجية، سواء كان ذلك باللفظ وغيره.

والطلاق باللفظ قد يكون صريحاً، أو يكون كناية. فالصريح هو الذي يفهم من معنى الكلام عند التلفظ به. مثل طلقتك، أو أنت طالق، أو طالقة، أو مطلقة. فإن أتى بلفظ من هذه الألفاظ وقع الطلاق ولو من غير نية، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن النبي ﷺ قال: " ثلاث جدُّهنَّ جدٌّ وهزلهنَّ جدٌّ، الطلاق، والنكاح، والرجعة " أخرجه الترمذي وحسنه وأبو داود وابن ماجه والحاكم.

أما الطلاق بالكناية فهو الذي يحتمل الطلاق وغيره، مثل أمرك في يدك، وأنت في حل، فإنها تحتمل تملكها عصمتها، كما تحتمل تملكها حرية التصرف، وغيره من ألفاظ الكناية التي تحتمل معنيين. ولا يقع الطلاق بالكناية إلا إذا كان ناوياً الطلاق. واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها، أن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله ﷺ، ودنا منها قالت: " **أعوذ بالله منك** " فقال لها: " **عذت بعظيم الحقي بأهلك** " أخرجه البخاري والنسائي وابن ماجه وورد في الصحيحين وغيرهما في حديث كعب بن مالك لما قيل له إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك فقال: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعتزلها فلا تقربها، فقال لامرأته: الحقي بأهلك " فأفاد الحديثان أن لفظة " **الحقي بأهلك** " تكون طلاقاً بالنية ولا تكون طلاقاً مع فقدان النية. ويقع الطلاق بالكتابة، بشرط أن تكون واضحة ومكتوبة بعنوان الزوجة. كما يقع الطلاق بالإشارة من الأخرس، أو بإرسال رسول من الزوج ليبلغ الزوجة الغائبة أنها مطلقة.

تدريب:

أجب عن الأسئلة الآتية:

١. من الذي يوقع الطلاق وما الدليل؟
٢. من المرأة التي يقع عليها الطلاق؟
٣. ما حكم الطلاق بالكتابة؟
٤. بين الأضرار التي تقع على الرجل بسبب الطلاق؟
٥. كيف يقع الطلاق؟ وما حكم طلاق الهازل؟
٦. ما الدليل على مشروعية إعطاء المرأة حق الطلاق؟

العدة

العدة اسم لمدة معلومة تنتظر فيها المرأة وتمتنع عن التزويج بعد وفاة زوجها، أو فراقه، لمعرفة براءة رحمها أو للتعبد، أو لتفجعها (حزنها) على زوجها، فلا تتزوج فيها ولا تتعرض للزواج.

حكم العدة:

العدة واجبة بالكتاب والسنة. فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: ٢٢٨) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة: ٢٣٤).

ومن السنة ما جاء في حديث فاطمة بنت قيس (أن زوجها طلقها البتة فخاصمته إلى رسول الله ﷺ في السكنى والنفقة، فقالت: (فلم يجعل لي سكنى ولا نفقة وأمرني أن أعتد في بيت أم مكتوم) أخرجه البخاري ومسلم.

أسباب وجوب العدة:

١. إعطاء فرصة للزوجين لإعادة الحياة الزوجية إذا كان الطلاق رجعياً.
٢. تجنب العدة لاستبراء الرحم حتى لا تختلط الأنساب بعضها ببعض.
٣. وتجنب للفرقة وللوفاء، وذلك في حق المتوفى عنها زوجها، وفاء لحق الزوج.

أنواع العدة: تنقسم العدة إلى ثلاثة أنواع:

(١) **عدة الحائض:** فإذا كانت المرأة من ذوات الحيض فعدتها ثلاث حيضات وذلك لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: ٢٢٨).

(٢) **العدة بالأشهر:** في هذا النوع قسمان:
أ- عدة المتوفى عنها زوجها في نكاح صحيح، فعدتها أربعة أشهر وعشراً، سواء دخل بها أو لم يدخل بها، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة: ٢٣٤).

ب- عدة من لا حيض لها من النساء كالأيسة والصغيرة، والتي انقطع حيضها بسبب غير الكبر، فأيست من المحيض فعدتها ثلاثة أشهر لقوله تعالى: ﴿وَالَّتِي يَبْسُنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبَتْمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ تَحِيضْ﴾ (الطلاق: ٤).

٣- **عدة الحمل:** وعدة الحمل تنتهي بوضع الحمل لقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق: ٤).

وكل مفارقة لزوجها في الحياة أو متوفي عنها ما دامت حاملاً، فعدتها بوضع الحمل. وفي ذلك حديث سبيعة الأسلمية أن زوجها توفي عنها وهي حامل فلما وضعت جاءت تستفتي رسول الله ﷺ في عدتها فقالت: " فأفتاني بأنني حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي " أخرج البخاري ومسلم.

الإحداد

الإحداد لغة: المنع، وشرعاً ترك الطيب والزينة للمعتدة عند الوفاة.

حكمه: الإحداد واجب على المرأة المتوفى عنها زوجها وذلك لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة: ٢٣٤) وكذلك لحديث أم سلمة - رضي الله عنها - أن النبي ﷺ قال: "لا يحل لامرأة مسلمة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشراً" أخرجه البخاري ومسلم.

ويجب على المعتدة أن تجتنب ما يدعو إلى النظر إليها كلبس الحلى والطيب والخضاب بجميع أنواعه. لحديث أم عطية قالت: "كنا ننهى أن نحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً، ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوباً مصبوغاً إلا ثوب عصب وقد رخص لنا عند الطهر إذا اغتسلت أhdانا من محيضها في نبذة من كست* ظفار) أخرجه البخاري ومسلم.

نفقة المعتدة وسكنها:

اتفق الفقهاء، على أن المطلقة طلاقاً رجعيّاً تستحق النفقة والسكنى في عدتها. وذلك لحديث فاطمة بنت قيس وفيه أن النبي ﷺ قال: "إنما النفقة والسكنى للمرأة إذا كانت لزوجها عليه الرجعة" أخرجه النسائي وأحمد. كما تجب النفقة على المطلقة من طلاق بائن زمن عدتها إذا كانت حاملاً فلها النفقة لأجل حملها لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (الطلاق: ٦).

* الكست: نوع من البخور

أما المتوفى عنها زوجها فلها السكنى دون النفقة لحديث فريعة بنت مالك أن النبي ﷺ قال لها لما توفى زوجها: (وامكثي في البيت الذي أتاك فيه نعي زوجك حتى يبلغ الكتاب أجله أربعة أشهر وعشراً) أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد.

تدريب:

أجب عن الأسئلة الآتية:

١. ما العدة؟
٢. ما حكم العدة؟ اذكر أدلتها من الكتاب والسنة.
٣. اذكر أسباب العدة. هل ترى أسباباً أخرى.
٤. عدد أنواع العدة؟
٥. متى تنتهي عدة الحامل المتوفى عنها زوجها؟
٦. ما الأشياء التي تجتنبها المعتدة؟
٧. ما حكم نفقة كل من:
أ- المطلقة طلاقاً رجعيّاً؟
ب- البائنة؟
ج- المتوفى عنها زوجها؟
٨. عرف الإحداد في اللغة والشرع.
٩. ناقش:
من إحداد المرأة المتوفى عنها زوجها أن تجلس مقبلة إلى الحائط ولا تكلم أحداً عند الغروب والشروق.

حق الطفل في التربية والتشئة والتعليم

الأطفال هم قرة العيون، ومسرة الحياة، وهم ثمرة الزواج الذي من مقاصده الأساسية المحافظة على النسل، الذي يتجدد به الوجود الإنساني، وذلك لتحقيق الغاية الأساسية التي خلق الإنسان من أجلها، وهى عبادة الله، وعمارة الأرض.

وقد جعل الشارع قوانين وضوابط، تكفل لهذا النسل حقوقه الأساسية في الانتماء، والإنفاق، والتربية والتعليم.

فحق الانتماء وجب للطفل بعقد النكاح، الذي بسببه تمّ الاتصال بين الزوجين، وحق الانتماء يجعل النسل باراً بأصله، ويقود الأصل إلى الرأفة والحنو على نسله.

فحق انتساب الأولاد إلى آبائهم من أهم الحقوق، لأنّ هذا الحق يوجب على الآباء كفالة الأبناء، ورعاية شؤونهم بدافع الطبع، أو بوازع الشرع.

حق الأولاد في الإنفاق:

توجب النظم الشرعية على الوالدين، أو أحدهما تربية الأولاد، مهما كانت حالتهم الجسمية والعقلية والنفسية. وهذا خلاف ما كان في بعض المجتمعات في وقت نزول الإسلام، حيث كانت تعفى بعض الآباء من هذا الواجب، في حالات خاصة، أو توجب عليهم إعدامهم أو إهمالهم. ومن تلك النظم، النظم التي كانت توجب على الآباء إعدام أبنائهم الضعاف، أو المشوهين، أو المرضى عقب ولادتهم، أو تركهم في القفار طعاماً للوحوش والطيور، وأيضاً ما كانت عليه القبائل العربية في الجاهلية، حيث كانت تلجأ إلى قتل أولادها بدون تفريق بين ذكورها وإناثها تحت تأثير الفقر، رغبة في التخلص من

واجب تربيتهم. وقد نهى القرآن الكريم عن هذه العادة بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ ۖ هُنَّ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء: ٣١). كما كانت بعض القبائل العربية تنذ البنات خشية الفقر أو العار، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَلْمُوءْدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ (التكوير: ٨-٩).

وعندما جاء الإسلام حارب هذه العادات التي تدل على انحراف الفطرة والاعتقاد والتشريع، فألزم الآباء برعاية الأبناء بغض النظر عن حالتهم عند الولادة أو بعدها، وهذا مما يتوافق مع الطبع السليم والشرع القويم.

الاهتمام بالطفل من الحمل إلى الولادة:

وقد أوجب الله النفقة على الأجنة في بطون الأمهات بقوله في القرآن الكريم: ﴿ وَإِنْ كُنْ أُولَتْ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ وبعد ولادته شرعت له ولاية التربية التي جعلت من حق الأم، التي هي أولى به ما لم يوجد مانع. قال الله تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ ۚ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ (البقرة: ٢٣٣).

وفي أثناء الحمل اعتنى الإسلام بالجنين عناية تعدل أو تفوق عنايته بالأم. فهو يبيح لها الفطر خشية أن تضعف فيتأثر الجنين. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَضَعَ عَنِ الْمَسَافِرِ**

الصوم وشطر الصلاة وعن الحبلَى والمرضع الصوم أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما.

وعندما يوضع الطفل، وجه الشارع بأن يكون الطفل ملء القلب، وقرة العين حتى تستعذب الأم عناء تربية الطفل، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (الفرقان: ٧٤). وقد وجه أن يؤذن في أذنه اليمنى، وأن يقام في أذنه اليسرى، ليكون توحيد الله وتكبيره أول ما يطرق سمع الطفل.

كما دعا الإسلام إلى الرضا بالمولود سواء أكان ذكراً أم أنثى. كما في قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (الكهف: ٤٦)، وقد حارب ما درج عليه أصحاب الطبائع المنحرفة الذين يحزنون بمولد البنات كما فى قوله تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (النحل: ٥٨-٥٩) **الْتَرَابِ إِلَّا سَاءَ مَا تَحْكُمُونَ** (النحل: ٥٨-٥٩)

وقد رغب الإسلام في العناية بالبنات ورصد لمن يفعل ذلك أسمى الدرجات. فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: " من كانت له أنثى فلم يئدها، ولم يهنها، ولم يؤثر ولده عليها (يعنى الذكور)، أدخله الله الجنة " أخرجه الترمذي.

وعن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " من كانت له ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان، فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة " أخرجه الترمذي.

التربية والتنشئة والتعليم:

تقع على الوالدين مسئولية التربية والتوجيه والتنشئة. قال رسول الله ﷺ: " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " أخرجه البخاري.

فالآباء هم الذين يشكلون حياة الطفل، فهو عندهم خامدة جاهزة يشكلونها كيفما شاءوا، وهذا يجعل دور الأسرة في التدين دوراً حاسماً، وقد أشار الإمام الغزالي لهذا الدور بقوله " واعلم أن الطريق في رياضة الأطفال من أهم الأمور وأوكدها، والصبي أمانة عند والديه. وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش، وصورة، وهو قابل لكل ما نقش عليه ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة. وشاركه في ثوابه أبواه، وكل معلم له ومؤدب. وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم، شقى وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالى له".

وأكد الرسول ﷺ على دور الأسرة في التربية بقوله: " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيته " أخرجه البخاري ومسلم. وكذلك المسئولية واضحة في قوله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُورُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ (التحریم: ٦) وقد فسرها سيدنا على ﷺ بقوله: " علموا أنفسكم وأهليكم الخير " أخرجه الحاكم والبيهقي.

وتبدأ العناية بتربية الولد بعد مولده بذكر الأذان والشهادتين كما ذكرنا سابقاً، وفي هذا إشعار للوالدين بأن التربية الممتازة والتقويم السليم لا بد أن تؤسس على تعاليم الدين وهديه. كما حث على العناية باسمه حيث إنَّ للاسم

أثراً بالغاً خاصة عندما يكبر قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّكُمْ تَدْعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِكُمْ فَحَسِّنُوا أَسْمَاءَكُمْ)** أخرجه أحمد وابن حبان. وقال رسول الله ﷺ: **(٠٠٠ فسموا بأسماء الأنبياء. وأحب الأسماء إلى الله عبد الله، وعبد الرحمن، وأصدقها حارث وهمام، وأقبحها حرب ومرة)** أخرجه أبوداود.

كما أن على الأسرة أن تأخذ أبناءها بالتربية السليمة والأدب الحسن، وتعودهم على الفضائل وترشدتهم إلى الخلق الكريم، والقُدوة الحسنة قال رسول الله ﷺ: **(أَكْرَمُوا أَوْلَادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ)** أخرجه ابن ماجه. وإحسان الأدب لا يأتي بالضرب، ولا بالعنف والإكراه، لأن هذا ضد الكرامة. فإذا أراد الأب أن يحسن أدب ابنه أكرمه. ومن التوجيه النبوي في هذا الشأن قوله ﷺ: **" ما نحل والد من نحل أفضل من أدب حسن "** أخرجه الترمذي.

ويقع على الوالدين واجب اختيار التعليم الذي يناسب سن الطفل. فيأمرهم الأبناء بالصلاة وهم أبناء سبع. كما على الآباء أن يعلموا أبناءهم أن يميزوا بين الحلال والحرام، ويأمرهم بالمعروف وينهوا عن المنكر. وقد كان ذلك من وصايا لقمان لابنه. كما في قوله: **﴿ يَبْنِيْ اَقِمِ الصَّلَاةَ وَاْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَاَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاَصْبِرْ عَلٰى مَا اَصَابَكَ اِنَّ ذٰلِكَ مِنْ عَزْمِ اَلْاُمُوْر ﴾** (لقمان: ١٧).

ومن حقوق الأبناء ما قاله النبي ﷺ: **" حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة وألا يرزقه إلا طيباً "** أخرجه البيهقي.

كما أن برنامج تعليم الطفل لا بد أن يحتوي على قدر من التدريب على الجهاد في سبيل الله ليكون مهياً في المستقبل للذود عن عقيدته ووطنه وحرماته.

تدريب:

أجب عن الأسئلة الآتية:

١. ما الغاية الأساسية للزواج؟
٢. اذكر فوائد حق انتماء الطفل لوالديه وأسرته.
٣. حث الإسلام على المساواة بين الأبناء ناقش هذه العبارة.
٤. ما موقف الإسلام من تشاؤم أهل الجاهلية بميلاد البنات؟
٥. من اهتمام الإسلام بالمولود إيجاب النفقة على أمه حالة الحمل، هات الدليل على ذلك.
٦. من المسؤول من تعليم الأبناء؟
٧. ما نوع التعليم والتدريب الذي يهيء الطفل لحماية عقيدته.



الباب الثالث
السيرة النبوية

السيرة

هذا القسم من الكتاب (مختارات) من كتب السيرة النبوية العطرة تتناول الموضوعات المقررة. ليطلع طلابنا على أساليب متنوعة في كتابة السيرة فيدفعهم ذلك على الشغف للاطلاع على تلك الكتب التي أخذت منها المختارات فنتسع معرفتهم بالحبیب المصطفی ﷺ فيقتدون به ويحبونه.

أهداف دراسة السيرة النبوية:

١. الوقوف على التطبيق العملي لأحكام الإسلام التي تضمنتها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة في مجالات الحياة المختلفة.
٢. الاقتداء برسول الله ﷺ يقتضي معرفة شمائله وأحواله ﷺ في المجالات المختلفة ومن عرف شمائله وأحواله وأحبه واقتدى به، فسينال ما يخره الله له على ذلك. قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١).
٣. الوقوف على دلائل معجزاته - دلائل نبوته - مما يقوى ويزيد الإيمان.
٤. معرفة ما حفلت به السيرة من مواقف إيمانية عقدية، وقفها الرسول ﷺ وأصحابه لإعلاء كلمة الله تقوى من عزائم المؤمنين السائرين على درب الرسول ﷺ وتثبيتهم للدفاع عن الدين والحق، وتقذف في قلوبهم الطمأنينة.
٥. أخذ العظات والعبر والحكم التي يتعظ بها ويعتبر كل ذي لب من الحكام والمحكومين، فيعرف من تحدثه نفسه بالجبروت والكبرياء مآل من اتصف بهذه الصفات.
٦. الحصول على قدر كبير من المعارف الصحيحة في علوم الإسلام المختلفة من عقيدة وشريعة وأخلاق وتفسير وحديث وسياسة وتربية واجتماع.. الخ.

٧. يتعرف الدارس لسيرته ﷺ تطور الدعوة الإسلامية، وما كابده الرسول ﷺ وأصحابه لإعلاء كلمة الله، وما واجهه هو وأصحابه من مشكلات وكيفية التصرف في تذليل تلك العقبات، وحل تلك المشكلات.
٨. معرفة أسباب نزول الآيات القرآنية أقوال كثيرة للصحابة ولا تعرف إلا بمعرفة السيرة النبوية، وكذلك علم الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم والسنة، لا يتأتى فهمه ومعرفته إلا في ضوء وقائع السيرة.

صفات الرسول ﷺ البشر

محمد ﷺ بشر ولكنه بلغ من الكمال البشري ما لا يساويه فيه بشر، وهو في أعلى ذرى الكمال، وهو رسول الله اختصه الله تعالى برسالته الخاتمة. قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ (الأنعام: ١٢٤) وخير من عبر عن هذا الكمال البشري الشيخ البصري رحمه الله حين قال:

ومبلغ العلم فيه أنه بشر

لكنه خير خلق الله كلهم

الكمال الخلقي والعقلي (الرجل *):

إن سمات الرجال الخلقية والعقلية تتبىء (٣) عنها أو تومىء (٤) إليها صفاتهم فإن اعتدال الجسم، وتناسب أجزائه يدل في الجملة على استقامة العقول والنفوس، وإن المزاج النفسي يصحبه غالباً مزاج جسمي كامل، متناسق في تركيبه الظاهر والداخل. فالعناصر المؤثرة كلها متناسقة منسجمة انسجاماً لا شذوذ فيه، ويكون معه انسجام نفسي كامل، وعقل كامل وخلق كامل.

الكمال الجسماني للأنبياء:

وصف النبي ﷺ النبيين في حديث المعراج بما يدل على كمالهم الجسمي. وهو كمال فيه جمال. لا يكون ما يسوغ النفرة منهم أبداً فقد روى سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ وصف لأصحابه إبراهيم وموسى وعيسى فقال (أما

* من كتاب خاتم النبيين - الإمام أبو زهرة - المجلد الأول ص ٢٣٤ - ٢٤٠

١. تتبىء: تخبر

٢. تومىء: تشير

إبراهيم فلم أر رجلاً قط أشبه بصاحبكم، ولا صاحبكم أشبه به منه. وأما موسى فرجل آدم (٥) طويل ضَرْبُ (٦) جَعْدُ (٧) أَقْنَى (٨) كأنَّه من رجال شنوءة (٩). وأما عيسى بن مريم فرجل أحمر بين القصير والطويل سبط (١٠) الشعر. كثير خيلان (١١) الوجه، كأنه خرج من ديماس (١٢). تخال (١٣) رأسه يقطر ماء. وليس به ماء، أشبه رجالكم به عروة بن مسعود).

وإن هذه الأوصاف لأولئك الأنبياء الثلاثة، وهم من أولي العزم من الرسل، تدل على كمال التناسق الجسمي فيهم مع اختلاف في الأوصاف الجزئية. واتفاقهم في أصل التنسيق، وقد أخرج الدارقطني من حديث أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ أن النبي ﷺ قال: " ما بعث الله تعالى نبياً إلا حسن الوجه حسن الصوت. وكان نبيكم أحسنهم وجهاً وأحسنهم صوتاً ﷺ ".

لم يكن بدعا من الأنبياء أن يكون كل ما عليه محمد ﷺ من الخلق والتكوين مسترعياً للأنظار، هو جميل في جسمه، كما هو جميل في خلقه وإنه عندما تحدى قريشاً بالقرآن الكريم، وعاب آلهتهم، وبين بطلان عبادتها، ورأوا أبا طالب عمه فكلموه، وهو يحميه دونهم، أتوا بفتى نهدي (١٤) هو أجمل قريش في زعمهم، ليكون ولدًا لأبي طالب، ويسلم لهم محمد بن عبد الله عليه

٣. آدم: شديد السمرة (وهي لون بين السواد والبياض)

٤. الضرب من الرجال القليل اللحم.

٥. جعد: جعد الشعر (بضم العين وكسرهما) إذا كان فيه التواء وتقبض.

٦. أقنى: محدودب الأنف.

٧. شنوءة: سمووا بذلك لشنآن بينهم.

٨. سبط الشعر: (بكسر الباء) إذا كان مسترسلاً.

٩. خيلان الوجه: جمع خال وهو نقطة تضرب إلى السواد تسمى شامة.

١٠. ديماس: الحمام.

١١. تخال: تظن.

١٢. نهدي: النهدي: القوي الضخم.

الصلاة والسلام ليقتلوه، فرفض تلك المساومة على ابن أخيه وقال في تهكم لاذع " تعطوني ولدكم أغذوه لكم، وأعطيكُم ولدي تقتلونه؟ " وهذا الخبر يدل على أن محمد بن عبد الله ﷺ قد بلغ الكمال الجسمي، إذ سواه الله تعالى فأحسن خلقه.

أثر الكمال الخلقي في الدعوة:

ولا شك أن ذلك التناسق الجسمي له أثره في الدعوة، والاستجابة لها إذ كان مصحوباً بإشراق روحي، وإنه مما يروى في ذلك أنه بعد أن تجاوبت الدعوة المحمدية في الأصداء، وعرفت في أرجاء الجزيرة العربية، وشاع خبر المكذبين وهم الكثرة، كالشأن في كل دعوة جديدة تجيء على لسان رجل يأتيهم بجديد لم يألّفوه، في هذه الأثناء قابل أعرابي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام فراعته (١٥) منظره، وإشراق وجهه، وتلألؤ النور في جبينه، فسأله: من أنت؟ فقال: محمد بن عبد الله ﷺ فقال في إيمان مدرك: أنت الذي تقول عنه قريش إنه كذاب!! فقال الرسول الكريم: نعم. فقال الرجل: ليس هذا بوجه كذاب، ما الذي تدعو إليه؟ فذكر النبي ﷺ حقيقة الإسلام، فأعلن الأعرابي إيمانه.

ولقد أكثر الواصفون لتكوين النبي ﷺ، وجاء من طرق أنه كان فيه جمال يتلألأ وجهه إشراقاً، ونختار من هذه الروايات وصف أمّ مَعْبِدٍ. وهي امرأة مر عليها الرسول ﷺ عابراً في أثناء هجرته من مكة إلى المدينة، فقد قالت واصفة له، حين سُئِلَتْ عنه.

لقد مر محمد بن عبد الله ﷺ ومعه أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه، ومولاه عامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن أريقط الديلمي، فسألوها هل عندها لبن أو لحم يشترونه منها؟ فلم يجدوا عندها شيئاً، وقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القري، وكانوا مُحَلِّين (١٦)، فنظر عليه الصلاة

١٣. فراعته منظره: أعجبه.

١٤. محلّين: يقال: محلّ القوم: اجذبوا واختفى عنهم المطر.

والسلام إلى شاة في كسر (١٧) خيمتها فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ فقالت: نحلها الجهد (١٨)، فقال عليه الصلاة والسلام أتأذنين لي أن أحلبها؟، فقالت: إن كان بها حلب فاحلبها. فدعا بالشاة فمسحها، وذكر اسم الله، فكان في حلبه منها ما كفاهم أجمعين، ثم حلبها، وترك عندها إناءها ملآن فلما جاء بعلمها استنكر اللبن، وقال: من أين لك هذا يا أم معبد، ولا حلوبة في البيت والشاة عازب؟!! (الشاء بالهمزة: الغنم. وعازب: بعيدة المرعى).

وصف أم معبد:

قالت: رأيت رجلاً، ظاهرَ الوضاعة (١٩)، حسنَ الخلق، مليح (٢٠) الوجه، لم تعبهُ ثجلة (٢١)، ولم تزر به صَعْلَة (٢٢)، قسيم وسيم، في عينيه دَعَج (٢٣)، وفي أشْفاره وطف (٢٤)، وفي صوته صحل (٢٥)، أحور (٢٦) أكحل (أسودت

١٥. كسر خيمتها: جانب خيمتها. الكسر: الجانب.

١٦. الجهد: المشقة.

١٧. الوضاعة: من وضؤ يوضؤ: الحسن والجمال والنظافة.

١٨. مليح الوجه: بهج وحسن منظره.

١٩. ثجلة: ثجل ثجلاً: عظم البطن واسترخاؤه.

٢٠. صعلة: الرقة والنحول والخفة في البدن.

٢١. دَعَج: شدة سواد الحدقة.

٢٢. وطف: كثر شعر حاجبيه وأهدابه مع استرخاء وطول. أشْفاره: منابت شعر عينيه.

٢٣. صحل: في صوته بحة بمعنى أن صوته ليس حاداً.

٢٤. شدة بياض العين مع شدة سواد سوادها.

أجفان العين خلقة)، أزج (٢٧) أقرن في عنقه سطحه (٢٨)، وفي لحيته كثافة. إذا صمت فعليه الوقار، وإذا تكلم سما، وعلاه البهاء (٢٩)، حلو المنطق، فصل (٣٠) لا نزر ولا هذر (٣١)، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، أبهى الناس وأجملهم من بعيد، وأحلاهم وأحسنهم من قريب، ربعة (٣٢) لا تشنؤه (٣٣) عين من طول، ولا تفتحمه عين من قصر. غصن بين غصنين (٣٤)، فهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدًا (٣٥)، له رفقاء يحفون به. وإن قال استمعوا لقوله، وإن أمر تبادروا إلى أمره. محفود (٣٦). محشود (٣٧)، لا عابس ولا مفند (٣٨).

٢٥. أزج: مقوس الحاجب مع طول وامتداد.

٢٦. سطح: بسط وتسوية.

٢٧. البهاء: الجمال.

٢٨. فصل من القول: ما كان حقاً قاطعاً.

٢٩. لا نزر ولا هذر: لا قليل ولا كثير.

٣٠. ربعة: مربع. وقد وصفه أبو هالة بأنه أطول من المربع وأقصر من المشدب أي الطويل البائن.

٣١. لا تشنؤه عين: لا تبغضه من طول.

٣٢. الغصنان: هما أبوبكر وعامر بن فهيرة.

٣٣. قدًا: قامّة.

٣٤. محفود: مخدوم.

٣٥. محشود: يقال: فلان محفود محشود: مطاع في قومه يخفون لخدمته.

٣٦. مفند: ضعيف الرأي.

حبه ﷺ للجمال الظاهري والباطني:

كان يحب الطيب. وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: **(حُبُّ إِيَّيْ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجَعَلَتْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ.**

وإنه ﷺ كان حريصاً على الطيب يتطيب به دائماً، حتى أنه كان ينبعث عرف (٣٩) الطيب في مجلسه، ولقائه، وفي مظاهر حسه، وكان إذا مس رأس طفل استمر العرف الطيب في رأسه، وإنه ليعرف أنّ الرسول مر فلمس طفلاً بالريح الطيب.

ولا شك أنّ العرف الطيب تستروح به النفس، ويقبل معها الجليس، وتتجذب إليها النفوس، وإنّ الرائحة الكريهة تنفر وتبعد.

حبه ﷺ للنظافة:

وكان عليه الصلاة والسلام يعني بالنظافة في المظهر، كما عني بتطهير المخبر، كان يعني بنظافة الحس، كما عني بنظافة النفس، ولنترك الكلمة للقاضي عياض يبين ذلك فقد . قال: " وأماً نظافة جسمه وطيب ريحه وعرفه، ونزاهته عن الأقدار، وعورات الجسد، فقد خصه الله تعالى، بخصائص لم توجد في غيره، ثم تممها بنظافة البشرة وخصال الفطرة وقال: **(بني الدين على النظافة...)** عن أنس خادم رسول الله ﷺ (ما شممت عنبراً قط، ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله ﷺ). وعن جابر بن سمرة أنه ﷺ مسح خده قال: فوجدت ليده برداً وريحاً، كأنما أخرجها من جؤنة

٤٠. العرف: الرائحة مطلقاً وأكثر ما يستعمل في الطيبة منها.

٤١. عنبراً: العنبر مادة صلبة لا طعم لها ولا ريح إلا إذا سحق أو أحرقت، يقال إنه روث دابة بحرية.

عطار (٤١)، قال غيره مسها بطيب أو لم يمسه.. يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبي، فيعرف من بين الصبيان بريحتها، ونام رسول الله ﷺ في دار أنس، فغرق فجاءت أمه بقارورة تجمع فيها عرقه، فسألها رسول الله ﷺ عن ذلك، فقالت: نجعله في طيينا، وهو من أطيب الطيب. وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر: لم يكن النبي عليه الصلاة والسلام يمر في طريق، فيتبعه أحد، إلا يعرف أنه سلكه من طيبه، وذكر إسحق بن راهويه أن تلك كانت رائحته بلا طيب، ﷺ وروى المزني عن جابر: "أردفني رسول الله ﷺ خلفه، فالتقمت خاتم النبوة بفمي، فكان ينم (٤٢) عليّ مسكاً (٤٣)" أخرجه

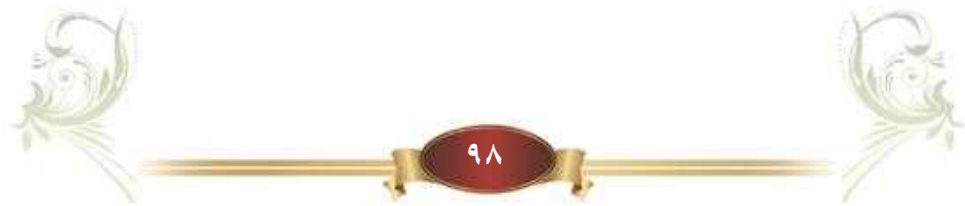
وهنا ننظر نظرة فيما رواه إسحق بن راهويه أن رائحته عليه الصلاة والسلام التي كانت طيبة كانت من غير تطيب، وإن ذلك بلا ريب جائز وممكن، فليست أمراً مستحيلاً في العقل ولا في الشرع، فقد اختصه الله تعالى بخواص ليست في كل الناس، والله أعلم حيث يجعل رسالته. ولكن ثبت بالرواية الصحيحة أنه عليه الصلاة والسلام كان يتضمخ بالطيب، وليس ذلك مما يعيبه، بل هو من المستحسن، وثبت أنه عليه الصلاة والسلام كان يقول أنه فيما حُبب إليه من شئون الدنيا الطيب. ومهما يكن فإن محمداً عليه الصلاة والسلام كان حريصاً على أن يكون ريحه طيباً، لكيلا يكون منه ما ينفر جليسه، بل يجذبه ويحبيه.

٤٢. جؤنة عطار: (بضم الجيم وسكون الهمزة وقد تسهل) سلسلة مستديرة مغشاة بالجلد يحفظ العطار فيها الطيب.

٤٣. ينم: ينشر رائحته.

٤٤. المسك: ضرب من الطيب يتخذ من نوع من الغزلان. والمعنى: ينشر على رائحة المسك.

ونرى أنه عليه الصلاة والسلام جعل الصلاة من الدنيا، إذ وصفها مما
حبيب إليه من شؤون الدنيا. لأن الصلاة مع جانبها الروحاني، ومع أن فيها
ذكر الله تعالى، هي تصلح الدنيا، لأن الصلاة تربي الضمير، وترهف
الوجدان، فتنهى عن الفحشاء والمنكر، وبذلك تصلح شؤون الدنيا والآخرة
معاً.



الرسول قدوة

حكم التأسي بالأخلاق المحمدية:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (القلم: ٤) وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: ٢١).

فقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ شهادة من الله تعالى له ﷺ بأنه على أكمل الأخلاق وأتمها وأرفعها وأفضلها، بحيث لا يداني فيها بحال من الأحوال.

وشاهد آخر في قوله ﷺ: (أدبني ربي فأحسن تأديبي) ذكره السخاوي في المقاصد، وفي قوله: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) أخرجه أحمد في المسند.

وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾. إعلام من الله تعالى لعباده المؤمنين مما أوجب عليهم من الاقتداء برسوله الذي كمله خلقاً وخلُقاً وشرفه أصلاً ومحتدأً (٤٤) ورفع منزلة وقدره، حتى لا تأنف (٤٥) النفوس في اتباعه والإقتداء به في كل ما هو في استطاعتها التحلي به والتقرب إلى ربها عز وجل باتباعه والإقتداء به فيه.

٤٥. المحتد: الأصل.

٤٦. تأنف: تستكبر.

أنواع الاقتداء به:

ومن هنا كان الكمال المحمدي ضربين:

١. ضرباً لم تشرع الأسوة فيه لعجز المرء عن كسب مثله، وذلك كشرف الأصل وجمال الذات وعلو القدر والاصطفاء للرسالة، وتلقي الوحي الالهي.
٢. ضرباً مأموراً بالإقتداء به فيه والمنافسة في تحصيل أكبر قدر منه، والمسابقة إليه والجد في الطلب للظفر به والحصول عليه. وهو ما ستذكر جُملاً صالحة منه سائلين الله تعالى أن يرزقنا التحلى به، والحياة والموت عليه، اللهم آمين.

تدريب:

١. بم وصف القرآن الكريم أخلاق رسول الله ﷺ؟
٢. ما مصدر أدب الرسول ﷺ؟ اذكر الحديث الذي يثبت ذلك.
٣. ما مكانة الأخلاق في رسالة الرسول ﷺ؟
٤. ما الدليل الذي يوجب على المسلمين الاقتداء بالرسول ﷺ؟
٥. الكمال المحمدي ضربان اذكرهما.

الاقتداء بالمأمور به:

أولاً: الآداب المحمدية:

لقد كان ﷺ يتجمل بالآداب التالية ويتحلى بها وهي:

- غض الطرف فلا يتبع نظره الأشياء، وكان جُل نظره الملاحظة فلا يحملق إذا نظر، ونظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء.
- إذا مشى مع أصحابه يسوقهم أمامه فلا يتقدمهم، ويبدأ من لقيه بالسلام.

- إذا تكلم يتكلم بجوامع الكلم، كلامه فصل، لا فضول ولا تقصير، أي على قدر الحاجة، فلا زيادة عليها ولا نقصان عنها. وهذا من الحكمة، وكان يقول: " من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه " ويقول " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت ". ويبدأ كلامه ويختمه بأشداقه من أجل أن يسمع محدثه ويفهمه، لا يتكلم في غير حاجة.
- متواصل الأحران، ودائم الفكر، ليست له راحة. دمث (٤٦) الخلق، ليس بالجافي ولا المهين، يعظم النعمة وإن دقت، لا يذم منها شيئاً ولا يمدحه.
- لا تغضبه الدنيا وما كان لها، فإذا تعرض للحق لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له. ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها.
- إذا غضب أعرض وأشاح (٤٧)، وإذا فرح غض طرفه، جل ضحكه التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام (٤٨).
- اذا تكلم تكلم ثلاثاً، وإذا سلم سلم ثلاثاً، وإذا استأذن استأذن ثلاثاً وذلك ليعقل عنه ويفهم مراده من كلامه نظراً إلى ما وجب عليه من البلاغ.
- كان يشارك أصحابه في مباح أحاديثهم، إذا ذكروا الدنيا ذكرها معهم، وإذا ذكروا الآخرة ذكرها معهم، وإذا ذكروا طعاماً أو شرباً ذكره معهم.

٤٧. دمث الخلق: سهل الخلق.

٤٨. أشاح: أشاح بوجهه: أعرض مبدئاً كرهاً وازدراءً.

٤٩. يفتر عن مثل حب الغمام: وحب الغمام: البرد.

- كان إذا جلس نصب ركبتيه واحتبى ببديه. وإذا جلس للأكل نصب رجله اليمنى وجلس على اليسرى.
- كان لا يعيب طعاماً يقدم إليه أبداً، وإنما إذا أعجبه أكل منه، وإن لم يعجبه تركه.

هذه الآداب مجملة وكلها يمكن الاقتداء به فيها، وهو غاية الطلب وبغية أولى الإرب.

ثانياً: الأخلاق المحمدية *

إن لدوي الأخلاق الفاضلة منزلة عالية. ففي الحديث الصحيح " أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً " إن من أحبك إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً " وسئل ﷺ عن البر فقال: **(حسن الخلق)** وسئل عن أي الأعمال أفضل فقال: **(حسن الخلق)** ومن هنا كان اكتساب الأخلاق الفاضلة خيراً من اكتساب الذهب والفضة والأموال الطائلة. والطريق لذلك هو الاقتداء بالنبي الحبيب ﷺ إذ هو المثل الأعلى في باب الأخلاق، ولذا كان إيرادنا للأخلاق المحمدية من باب حمل المسلم على اكتساب تلك الأخلاق المحمدية الفاضلة ودفعاً له على التجل والتخلي بها، ليكمل بها ويفضل ويشرف ^(٤٩) عليه بها، بعد أن عرف صاحبها، وعرف كمالاته الذاتية والروحية. وفوق إيمانه به نبياً ورسولاً تجب طاعته ومتابعته وتعظيمه ومحبته وتوقيره، وهذه نماذج من تلك الأخلاق فلننظر إليها ولنوطن النفس على اكتسابها والتخلق الصادق بها.

* ص ٢٢٥ من كتاب هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يامحب.

٥٠. يشرف: تعلق منزلته.

تدريب:

١. لأصحاب الأخلاق الفاضلة منزلة عالية. اذكر حديثاً صحيحاً يثبت ذلك.
٢. لماذا كان اكتساب الأخلاق الفاضلة خيراً من اكتساب الأموال الطائلة.
٣. ما الطريق للتحلي بالأخلاق الفاضلة؟
٤. ماذا يجب على المسلم نحو الرسول ﷺ زيادة على تحليه بالأخلاق الفاضلة؟

أمر الأخلاق المأمور اتباعها

١. الكرم المحمديّ:

إنَّ الكرم المحمديّ كان مضرب الأمثال، وقد كان ﷺ لا يردّ سائلاً وهو واعد ما يعطيه، فقد سأله رجل حُلّة كان يلبسها، فدخل بيته فخلعها، ثم خرج بها في يده وأعطاه إياها. ففي صحيح البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا وقال أنس بن مالك ﷺ: "ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً على الإسلام إلا أعطاه سأله رجل فأعطاه غنماً بين جبلين، فأتى الرجل قومه فقال لهم يا قوم أسلموا فان محمداً يعطي عطاء من لا يخاف الفاقة (٥٠). إن كان الرجل ليجيء إلى رسول الله ﷺ ما يريد إلا الدنيا فما يمسي حتى يكون دينه أحب إليه وأعز من الدنيا وما فيها".

وحسبنا في الاستدلال على كرم رسول الله ﷺ حديث البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) وقد سئل عن جود الرسول وكرمه فقال: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل بالوحي فيدارسه القرآن".

فرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة، بمعنى أن عطاءه دائم لا ينقطع ببسر وسهولة، وها هي ذي أمثلة لجوده وكرمه ﷺ:

■ حملت إليه تسعون ألف درهم فوضعت على حصير، ثم قام إليها يقسمها فما رد سائلاً حتى فرغ منها.

■ أعطى العباس ﷺ من الذهب ما لم يطق حمله.

■ أعطى معوذ بن عفراء ملء كفه حلياً وذهباً لما جاءه بهدية من رطب وقتاء (٥١).

■ جاءه رجل فسأله فقال: " ما عندي شيء ولكن ابتع (٥٢) عليّ فإذا جاءنا شيء قضيناها "

وكيف لا يكون الحبيب ﷺ أكرم الناس وأجودهم على الإطلاق، وهو القائل: " ما من يوم يصبح فيه العباد إلا وملكان يقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً. ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً ". والقائل أيضاً: يقول الله تعالى: يا ابن آدم أنفق أنفق عليك " وقد نزل عليه قول ربه: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (سبأ: ٣٩).

تدريب:

١. الكرم المحمدي كان مضرب الأمثال.. سأله رجل أن يعطيه حلةً كان يلبسها. فماذا كان رد الرسول ﷺ؟
٢. هات حديثاً يدل على أنه ﷺ لا يردُّ سائلاً.
٣. جاءه رجل فسأله، ولم يكن عنده شيء فماذا قال له؟
٤. حُمِلت إليه ﷺ تسعون ألف درهم فوضعت على حصير.. فماذا فعل فيها؟
٥. اذكر دليلاً من القرآن أو السنة يأمر بالإنفاق ويرغب فيه.

٥٢. قَتَاء: نوع من البطيخ نباتي، قريب من الخيار لكنه أطول. واحدته قَتَاءَةٌ. والقَتَاء اسم جنس لما يسمى بمصر: الخيار والعجور والفقوس.

٥٣. ابتع: بمعنى اشتر ما تحتاجه على حسابي وأنا أسدده عنك إن شاء الله تعالى.

٢. الحلم المحمدي *

الحلم وهو ضبط النفس، حتى لا يظهر منها ما يكره، قولاً كان أو فعلاً عند الغضب، وما يثيره هيجانه من قول سيئ أو فعل غير محمود. هذا الحلم كان فيه الحبيب ﷺ مضرب المثل، والأحداث التالية شواهد لحلمه فداه أبي وأمي ﷺ وذلك لتربية الله تعالى له. وإفاضته الكمالات على روحه ﷺ:

■ لما شجت وجنتاه (٥٣) وكسرت رباعيته ودخل المغفر (٥٤) في رأسه ﷺ يوم أحد قال: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون). فهذا منتهى الحلم والعفو والصبر منه ﷺ.

■ لما قال له ذو الخويصرة: عدل فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، حلم عليه وقال له: (ويحك (٥٥) فمن يعدل إن لم أعدل؟) ولم ينتقم منه ولم يأذن لأحد من أصحابه بذلك.

■ لما جذبته الأعرابي بردائه جذبة شديدة حتى أثرت في صفحة عنقه ﷺ وقال: احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك، فانك لا تحمل لي من مالك ومال أبيك، حلم عليه ﷺ ولم يزد أن قال " المال مال الله وأنا عبده، ويقاد (٥٦) منك يا أعرابي ما فعلت بي " فقال الأعرابي: لا. فقال النبي ﷺ: " ولم؟ " قال: لأنك لاتكافئ السيئة بالسيئة. فضحك ﷺ، ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى آخر تمر. فأى حلم وأي كمال هذا ياعباد الله.

* ص ٥٧ - المصدر السابق.

٥٤. الوجنة: ما ارتفع من الخدين.

٥٥. المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

٥٦. ويحك: ويح: كلمة ترحم وتوجع. ويقال ويحاً له، وويحه، وويحك.

٥٧. يقاد منك: القود: القصاص. والمعنى: يقتص منك.

■ لم يثبت أنه ﷺ انتصر لنفسه من مظلمة ظلمها قط، ولا ضرب خادماً ولا امرأة قط، بهذا أخبرت عائشة رضي الله عنها فقالت: ما رأيت رسول الله ﷺ منتصراً من مظلمة ظلمها قط، ما لم تكن حرمة من محارم الله، وما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضرب خادماً قط ولا امرأة.

■ وجاء زيد بن سَعْنَةَ أحد أخبار اليهود بالمدينة، جاءه يتقاضاه (٥٧) ديناً له على النبي ﷺ فجذب ثوبه عن منكبه وأخذ بمجامع ثيابه وقال مغلظاً القول: إنكم يا بني عبد المطلب مطل (٥٨)، فانتهره عمر وشدد له في القول، والنبي ﷺ يبتسم، وقال ﷺ: (أنا وهو كنا إلى غير هذا أحوج منك يا عمر، تأمرني بحسن القضاء (٥٩)، وتأمره بحسن التقاضي (٦٠)) ثم قال: (لقد بقي من أجله ثلاث). وأمر عمر أن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما رَوَّعه، فكان هذا سبب إسلامه فأسلم، وكان قبل ذلك يقول: " ما بقي من علامات النبوة شيء إلا عرفته في محمد ﷺ إلا اثنتين لم أخبرهما: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل إلا حُلماً. فاخبره بهذه الحادثة فوجده كما وصف. هذه قطرة من بحر الحلم المحمدي تذهب ظمأ من أراد أن يتحلى بالحلم ويتجمل به.

٥٨. يتقاضاه: يطلب منه قضاء دين له على النبي ﷺ.

٥٩. مطل: مطله بدينه مطلاً إذا سوفه بوعده الوفاء مرة بعد أخرى.

٦٠. القضاء: أداء المستدين ما عليه من دين حلّ أجله.

٦١. التقاضي: طلب الدائن من المستدين رد المال الذي استدانه إذا حلّ أجله.

تدريب:

١. ما معنى الحِلْم؟
٢. لما شجبت وجنتا رسول الله ﷺ وكسرت ربايعيته، ودخل المغفر في رأسه يوم أحد، قال: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون) علام يدلّ قوله هذا؟
٣. لما جذبته الأعرابي بردائه جذبة شديدة حتى أثرت في صفحة عنقه ﷺ وقال: احمل لي على بعيريّ هذين من مال الله الذي عندك، فإنك لا تحملُ لي من مالك ومال أبيك. فكيف تصرف معه الرسول ﷺ؟
٤. هل حصل أن الرسول ﷺ انتصر لنفسه من مظلمة ظلمها؟
٥. وماذا قالت السيدة عائشة في شأن انتصار النبي ﷺ لنفسه؟

٣. العفو المحمدي *

إن العفو هو ترك المؤاخذة عند القدرة على الأخذ من المسيء المبطل. وهو من خلال الكمال (٦١)، وصفات الجمال الخلقى، أمر الله تعالى به رسوله من قوله في سورة الأعراف ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وسأل ﷺ جبريل عن معنى هذه الآية فقال له " حتى أسأل العليم الحكيم ". ثم أتاه فقال: " يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك ". وامتنل رسول الله ﷺ أمر ربه فكان مضرب المثل في الخصال الثلاث في صلة من قطعه، وإعطاء من حرمه، والعفو عمن ظلمه، وفي الأمثلة الآتية شاهد ذلك ودليله:

- قالت عائشة رضي الله عنها: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم الله بها.
- تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ﷺ ورسول الله ﷺ مطرح تحت شجرة وحده قائلاً (٦٢)، وأصحابه قائلون كذلك، وذلك في غزاة، فلم ينتبه رسول الله ﷺ إلا غورث قائم على رأسه، والسيف مصلت (٦٣) في يده، وقال: من يمنعك مني؟ فقال ﷺ: " الله " فسقط السيف من يد غورث، فأخذه النبي ﷺ وقال: (من يمنعك؟): قال غورث: كن خير آخذ

* المرجع السابق ص ٥٢٨.

٦٢. من خلال الكمال: من صفات الكمال.

٦٣. قائلاً: القائلة وقت القيلولة وقد تطلق على القيلولة وهي نوم نصف النهار.

٦٤. السيف مصلت: مجرد من غمده.

فتركه وعفا عنه. فعاد إلى قومه فقال: جئكم من عند خير الناس. فهكذا كان العفوالمحمدي.

■ لما دخل المسجد الحرام صبيحة الفتح (٦٤) ووجد رجالات قریش جالسين مطأئين الرؤوس ينتظرون حكم رسول الله ﷺ الفاتح فيهم، فقال: " يا معشر قریش ما تظنون أني فاعل بكم؟ " قالوا: " أخ كريم وابن أخ كريم قال: " اذهبوا فأنتم الطلقاء (٦٥)، فعفا عنهم بعدما ارتكبوا من الجرائم ضده وضد أصحابه ما لا يقادر قدره، ولا يحصى عدّه ومع هذا فقد عفا عنهم ولم يعنف ولم يضرب ولم يقتل، فصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

■ سحره لبيد بن الأعصم اليهودي، وقد نزل الوحي بذلك، فعفا عنه، ولم يؤاخذه بل لم يثبت أنه لأمه أو عاتبه مجرد لوم أو عتاب، فضلاً عن المؤاخذه والعقاب. فكان موقفه هذا مظهراً من مظاهر العفو المحمدي في أجلى صورته، وأبهى مظاهره فصلى الله عليه وسلم ما عفا عافٍ، وأخذ مؤاخذه إلى يوم الدين.

■ تأمر عليه المنافقون وهو في طريق عودته من تبوك إلى المدينة، تأمروا عليه ليقتلوه، وعلم بهم، وقيل له فيهم، فعفا عنهم، وقال: " لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ".

■ جاءه رجل يريد قتله، فاكتشف أمره، وظهرت حاله، فقال له أصحابه: إن هذا جاء يريد قتلك. فاضطرب الرجل من شدة الخوف وفزع " فقال له:

٦٥. الفتح: هو فتح النبي ﷺ مكة.

٦٦. الطلقاء: جمع طليق، والطلاق: المطلق أو الأسير أطلق وترك شأنه.

" لن تراع لن تراع، ولو أردت ذلك - أي قتلي - لم تُسلط عليّ ". لأن الله أعلمه بعصمته له من الناس، فعفا عنه ﷺ وقد أراد قتله، فلم يعاقبه بل لم يؤاخذه، فصلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

تدريب:

١. ما معنى العفو؟
٢. ما الدليل من القرآن الكريم على أن الله تعالى أمر الرسول ﷺ به؟
٣. قالت السيدة عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها.
يتفق هذا الحديث في بعض موضوعاته مع قول الله تعالى: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ). اذكر ما اتفقا فيه.
٤. كان الرسول ﷺ قائلاً وحده تحت شجرة، وأصحابه قائلون كذلك، في إحدى الغزوات فجاء غورث بن الحارث ليفتك به، فما انتبه الرسول ﷺ إلا غورث قائم على رأسه والسيف مصلت في يده، وقال "من يمنعك مني؟" فقال "الله" فسقط السياف من يده، فأخذه النبي ﷺ وقال: "من يمنعك مني؟" قال غورث: كن خير آخذ؟ فماذا فعل الرسول ﷺ؟
٥. حين دخل الرسول ﷺ صبيحة الفتح ووجد القرشيين جالسين مطأطئين رؤوسهم ينتظرون حكم الرسول الفاتح فيهم، فقال: "يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟" قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فماذا قال لهم؟ وماذا يعني قوله هذا ﷺ؟

٤. الشجاعة المحمدية *

إنَّ الشجاعة خلق فاضل. ووصف كريم، وخلة شريفة، لا سيما إذا كانت في العقل كما هي في القلب، وكان صاحبها من أهل الإيمان والعلم، والشجاعة في القلب عدم الخوف مما يخاف عادة، والإقدام على دفع ما يخاف منه بقوة وحزم. وفي العقل المضاء فيما هو الرأي وعدم النظر إلى عاقبة الأمر متى ظهر أنه الحق المعروف. وقد كان الحبيب محمد ﷺ أشجع إنسان على الإطلاق، فلم تكتحل عين الوجود بمثله ﷺ. ومن أدلة ذلك تكليف الله تعالى له بأن يقاتل وحده في قوله من سورة النساء: ﴿ فَكَتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (النساء: ٨٤).

ومن أدلة شجاعته ﷺ ومظاهرها ما يلي:

- شهادة الشجعان الأبطال له بذلك فقد قال علي بن أبي طالب ﷺ وكان من أبطال الرجال وشجعانهم بلا مرأى، قال: كنا إذا حمي البأس، واحمرت الحديق (٦٦) نتقي برسول ﷺ. أي نتقي الضرب والطعان.
- موقفه البطولي الخارق للعادة في أحد حيث فرَّ الكمأة (٦٧)، ووجم الأبطال، وذهل عن أنفسهم الشجعان، ووقف محمد رسول الله ﷺ كالجبل الأشم حتى لاذ به أصحابه والتفوا حوله وقاتلوا حتى انجلت المعركة. بعد قتال مريير، وهزيمة نكراء، حلت بالقوم لمخالفة أمره ﷺ.

* ص ٥٣٠ هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا حب تأليف أبو بكر الجزائري.

٦٧. الحديق: جمع حدقة: ما تحت الأجفان وذلك من شدة الغضب.

٦٨. الكمأة: جمع كمى وهو الشجاع.

■ وفي حنين حيث انهزم أصحابه وفرّ رجاله لصعوبة مواجهة العدو من جراء الكمائن التي نصبها وأوقعهم فيها وهم لا يدرون، بقي وحده ﷺ في الميدان يطاول ويصاول وهو على بغلته يقول: **(أنا النبي لا كذب: أنا ابن عبد المطلب)**. وما زال في المعركة وهو يقول: **(إليّ عباد الله !! إليّ عباد الله)** حتى فاء أصحابه إليه وعاودوا الكرة على العدو فهزموه في ساعة، وما كانت هزيمتهم أول مرة إلا من ذنب ارتكبه بعضهم، وهو قولهم: لن نغلب اليوم من قلة. إذ هذا القول كان عجباً، والعجب حرام وقد ذكرهم تعالى به في كتابه إذ قال تعالى من سورة التوبة: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا﴾ (التوبة: ٢٥).

■ في أحد والمعركة دائرة رأى أبي بن خلف - لعنه الله - رأى النبي ﷺ فصاح: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا، وتقدم على فرسه نحو رسول الله ﷺ فاعترضه رجال من المسلمين. فقال ﷺ: **(خلوا طريقه)** وتتاول الحرب من يد الحارث بن الصمة، وانتفض انتفاضة تطاير عنه أصحابه تطاير الوبر من ظهر البعير إذا انتفض واستقبله بطعنة نجلاء (٦٨) في عنقه تدأداً (٦٩) منها عن فرسه مراراً وهو يقول قتلني محمد. فمات منها بسرف وهو عائد إلى مكة مع جيش المشركين.

٦٩. نجلاء: واسعة.

٧٠. تدأداً: تزعزع بشدة.

■ فرع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً قد سبقهم إلى الصوت ،، فاستبرأ الخبر (٧٠) على فرس لأبي طلحة عُرِيّ والسيف في عنقه وهو يقول: " لن تراعوا ". وفي هذه يقول: أنس بن مالك: كان النبي ﷺ أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس وقصَّ هذه القصة.

■ شهادة عمر بن حصين رضي الله عنهما إذ قال وهو صادق: " ما لقي رسول الله ﷺ كتيبة إلا كان أول من يضرب ". كانت تلك شواهد شجاعته القلبية. أما شجاعته العقلية فنكتفي منها بشاهد واحد، فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد. وهو موقفه من تعنت سهيل بن عمرو وهو يملئ وثيقة صلح الحديبية إذ تنازل ﷺ عن كلمة بسم الله إلى باسمك اللهم، وعن كلمة محمد رسول الله إلى كلمة محمد بن عبد الله، وقد استشاط أصحابه غيظاً. وبلغ الغضب حداً لا مزيد عليه، وهو صابر ثابت حتى انتهت. وكانت بعد أيام فتحاً مبيناً، فضرب ﷺ بذلك المثل الأعلى في الشجاعتين القلبية والعقلية مع بعد النظر وأصالة الرأي وإصابته صلى الله عليه وسلم ما بقيت شجاعة أو جُبْن في العالمين.

تدريب:

١. وضح معاني الكلمات التي تحتها خط فيما يلي:
أ. احمرت الحدق. ب. فر الكمة. ج. طعنة نجلاء. د. تدأداً منها.
هـ. استبرأ الخبر.
٢. ما معنى الشجاعة في القلب؟
٣. ما معنى الشجاعة في العقل؟
٤. الرسول ﷺ أشجع إنسان على الاطلاق.. ما الدليل على ذلك؟
٥. اذكر بعض مظاهر شجاعته القلبية.
٦. هات مثلاً واحداً لشجاعته العقلية.

٥. الصبر المحمدي *

إن الصبر هو حبس النفس على طاعة الله تعالى حتى لا تفارقها، وعن معصية الله تعالى حتى لا تقربها، وعلى قضاء الله تعالى حتى لا تجزع^(٧١) له ولا تسخط عليه. هذا هو الصبر في مواطنه الثلاثة وهو خلق من أشرف الأخلاق وأسمائها. وهو خلق مكتسب يحمل العاقل عليه نفسه ويروضها^(٧٢) شيئاً فشيئاً حتى يصبح ملكه لها ثابتة عفواً بدون طلب.

يدل على ذلك أمره تعالى رسوله في غير موطن من كتابه العزيز وذلك كقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ (الأحقاف: ٣٥) وقوله: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ (النحل: ١٢٧) وقوله في أمر كافة المؤمنين: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠). وقد صبر رسول الله ﷺ وصابر طيلة عهد إبلاغ رسالته الذي دام ثلاثاً وعشرين سنة، فلم يجزع يوماً، ولم يتخل عن دعوته وإبلاغ رسالته حتى بلغ بها الآفاق التي شاء الله تعالى أن تبلغها. وباستعراضنا المواقف التالية نتجلى لنا حقيقة الصبر المحمدي الذي هو فيه أسوة كل مؤمن ومؤمنة في معترك هذه الحياة.

■ صبره ﷺ على أذى قريش طيلة ما هو بين ظهرائها بمكة، فقد ضربوه، وألقوا سلى الجزور على ظهره، وحاصروه ثلاث سنوات مع بني هاشم في شعب أبي طالب، وحكموا عليه بالإعدام وبعثوا رجالهم لتنفيذه فيه إلا أن الله سلمه وعصم دمه. كل هذا لم يردده عن دعوته، ولم يثن عزمه عن بيانها وعرضها على القريب والبعيد.

* ص ٥٣٢ من كتاب هذا الحبيب محمد رسول الله ﷺ يا محب تأليف أبو بكر الجزائري.

٧٢. تجزع: جزع جزعاً وجزوعاً: لم يصبر على ما نزل به.

٧٣. يروض نفسه: وطأها ونللتها.

- صبره ﷺ عام الحزن، حيث ماتت (خديجة) الزوج الحنون، ومات العم الحاني المحامي المدافع (أبو طالب). فلم تفت هذه الرزايا من عزمه، ولم توهن من قدرته ؛ إذ قابل ذلك بصبر لم يعرف له تاريخ الأبطال مثل ولا نظير.
- صبره في كافة حروبه في بدر وفي أحد وفي الخندق وفي الفتح وفي حنين وفي الطائف وفي تبوك، فلم يجبن ولم ينهزم، ولم يفشل، ولم يكل ولم يمل (٧٣) حتى خاض حروباً عدة، وقاد سرايا عديدة ؛ فقد عاش من غزوة إلى أخرى طيلة عشر سنوات، فأى صبر أعظم من هذا الصبر؟؟
- صبره على تأمر اليهود عليه بالمدينة وتحزيبهم الأحزاب لحربه والقضاء عليه وعلى دعوته.
- صبره على الجوع الشديد فقد مات ولم يشبع من خبز شعير مرتين في يوم واحد قط.
- لقد صبر ﷺ على كل ذلك فلم يهن ولم تضعف همته. ولم تمس كرامته، ولم يدنس عرضه. ولو أؤذي غيره بمعشار ما أؤذي أو أصابه من البلياء والرزايا دون ما أصابه لتخلي عن دعوته وهرب من مسؤوليته. ووجد في نفسه مبرراً لذلك، ولكن الله عصمه فصبره وجبره، وحماه وقواه ليبلغ عنه رسالته، ويجعله آية للناس في صبره وحكمته وعفوه وكرمه وشجاعته، وفي سائر أخلاقه، فصلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً..

تدريب:

١. ما معنى الصبر؟
٢. الصبر خلق مكتسب. كيف يكتسبه المؤمن ويجعله صفة من صفاته؟
٣. اذكر آية من القرآن الكريم تأمر بالصبر.
٤. حياة الرسول ﷺ تتجلى فيها حقيقة الصبر. اذكر بعض المواقف لصبره ﷺ.

الرسول ﷺ في أسرته

الرسول الزوج:

لقد خُص رسول الله ﷺ بأن أباح الله له من الزوجات ما لم يباح لغيره. فقد تزوج إحدى عشرة امرأة ودخل بهن، اثنتان ماتتا في حياته وهما السيدتان، خديجة، وزينب أم المساكين، وتوفي عن تسع، وهن: عائشة بنت الصديق، وسودة بن زمعة، وحفصة، وأم سلمة، وزينب بنت جحش، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وجويرية بنت الحارث المصطلقية وصفية بنت حيي النضيرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية. وتسرى جارتين: مارية القبطية، وريحانة بنت زيد اليهودية. وقد ماتت في حياته.

وإذا كان الإسلام جعل للمرأة حقوقاً لم تكن تحلم بها ورفع من شأنها. فقد حظي (٧٤) بالنصيب الأوفى من ذلك نساء النبي ﷺ. ولما أنكر الفاروق عمر على زوجته أن تراجع في أمر قالت له: عجباً لك يا ابن الخطاب، أما تحب أن تراجع في شيء، إن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان، فذهب إلى ابنته يسألها فإذا هي تؤكد له ذلك.

وكان كثيراً ما يوصي بالنساء خيراً ويقول: **(خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)** وفي حجة الوداع أوصى بهن خيراً.

قدرته ﷺ على التوفيق ما بين أعباء الزوجية وأعباء الرسالة:

وإن الإنسان ليعجب كيف وفق النبي ﷺ بين هؤلاء التسع وهن مختلفات في السن والطباع، والأخلاق والمشارب؟ ولكن النبي بسعة عقله ورحابة

٧٥. حظي يحظى حظوة: علا شأنه وأحبه الناس.

صدره، وكرم أخلاقه أمكنه أن يحسن عشرتهن، ويعدل بينهن ، و أن يوفق بين رغباتهن، وأن يعشن عيشة الأخوات لا عيشة الضرائر (٧٥).
وإنها لبطولة حقاً أن يكون عنده هذا العدد من الزوجات، ويقوم بأعباء الرسالة، وتكوين خير أمة، وأول دولة في الإسلام على خير ما تكون.
والواحد منا عنده الزوجة الواحدة والعدد القليل من الأولاد، ومع هذا يكون في شغل شاغل، وفي حيرة من التوفيق بين حقوق زوجته وولده، والقيام بواجبات عمله على وجه مرض، ولكنه النبي الذي وسع الناس جميعاً بعقله وصبره وبره.

حرص النساء على التوسعة:

وزوجات النبي ﷺ خيار نساء هذه الأمة، الحريصات على رضا الله ورسوله. ومع كونهن بهذه المنزلة فلم تخل معاشرتهن للنبي ﷺ من بعض مضايقات، بسبب ما ركز في فطرة المرأة من الغيرة (٧٦)، وحب الاستئثار بالزوج.

فمن ذلك أنهن اجتمعن على النبي ﷺ ورغبن إليه أن يوسع عليهن وأن يكون لهن مالنساء الملوك وأصحاب الثراء. وكان النبي قد أخذ نفسه وأهله وولده بالتقشف والتقل من طيبات الحياة وزخارفها، وفرض على نفسه وعليهن لوناً من ألوان المعيشة لا يتميز عن معيشة عامة الأمة، إن لم يقل،

٧٦. الضرائر مفرداً ضرة. والضرة إحدى زوجتي الرجل أو إحدى زوجاته. ويقال: بينهم داء الضرائر: الحسد.

٧٧. الغيرة: غار الرجل على المرأة، وهي عليه يغار غيرة: ثارت نفسه لإبدائها زينتها ومحاسنها لغيره، أولاً لانصرافها عنه إلى آخر، وثارت نفسها لمثل ذلك منه. فهو غيران وهي غبرى. وتجمع: غيارى. وهو وهي: غيور.

وهو ﷺ قدوة المسلمين جميعاً فليكن نساؤه كذلك قدوة لنساء الأمة لذلك تألم النبي لمطالبتهن، فاعتزلهن شهراً.

اعتزال النبي ﷺ لنسائه:

ولما اعتزل النبي نساءه شاع ذلك، وعظم الأمر على الصحابة، فذهب الصديق أبو بكر إلى المشربة (٧٧) التي اعتزل فيها رسول الله، فإذا الناس جلوس محزونون، فاستأذن علي رسول الله فأذن له، ثم جاء الفاروق فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ واجماً ساكتاً وحوله نساؤه فقال أبو بكر: لأقولن شيئاً أضحك به النبي ﷺ فقال: يا رسول الله لو رأيت بنت خارجة - زوجته - سألتني النفقة فقلت إليها فوجأت عنقها (٧٨)! فضحك رسول الله وقال: " هنّ حولي كما ترى يسألنني النفقة ". فقام أبو بكر وعمر إلى ابنتيهما يزجرانهما ويقولان: لا تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده فتعهدتا بذلك. وبعد مضي مدة الاعتزال أنزل الله آيتي التخيير، قال عز شأنه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌّ لِرَؤُوسِكُ إِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُمْ وَأَسْرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ۖ وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنكُمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (الاحزاب ٢٨-٢٩).

فبدأ رسول الله بعائشة وقال: **(يا عائشة إني أريد أن أعرض عليك أمراً أحب أن لا تعجلي فيه حتى تستشيرني أبويك)** قالت: وما هو يا رسول الله؟ فتلا عليها الآيتين قالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوي؟! بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسالك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت، فأبى

٧٨. المشربة: الحجرة.

٧٩. وجأت عنقها: دفعت بجمع كفي في عنقها. أو ضربتها بسكين ونحوها.

وقال: لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يبعثني متعنتاً^(٧٩)، ولكن بعثني معلماً ميسراً ثم خيرهن فكلهن اخترن الله ورسوله، رضي الله عنهن. مؤانسته ﷺ لنسائه:

وكان ﷺ إذا صلى العصر دار على نسائه يلاطفهن ويؤانسهن بالمحادثة، وربما يطيل المكث عند بعضهن. فتأخذ الغيرة بنفوس بعضهن. فدخل ذات يوم على السيدة زينب بنت جحش، فمكث عندها وشرب عسلاً، فتواطأت عائشة وحفصة أن أيتنا دخل عليها رسول الله ﷺ فلتقل له: إني أجد منك ريح مغافير^(٨٠). وكان النبي يكره الرائحة الخبيثة. فدخل على حفصة فقالت له ذلك، فقال: "بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش، فلن أعود إليه، وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً" ولكنها لم تعمل ما أوصاها به وأخبرت بذلك عائشة.

فلما انقضى الشهر نزل رسول الله ﷺ فأنزل الله سبحانه - معاتباً نبيه - ومخوفاً ومحذراً نساءه - قوله: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحَرَّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٢) وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٣) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا (٨١) وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ (٨٢) فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (٤) عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ

٨٠. متعنتاً: محملاً الناس ما يشوش عليهم.

٨١. مغافير: صمغ حلو ينضحه شجر العرقط يؤخذ ثم ينضح بالماء فيشرب، وله رائحة كريهة.

٨٢. صغت قلوبكما: مالت قلوبكما عما يجب عليكما من الاخلاص للرسول ﷺ.

٨٣. وإن تظاهرا عليه: وإن تتعاونوا على النبي ﷺ بما يسوءه.

يُبْدِلُهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُمْ مُّسَامِلَةً مُّؤْمِنَةٍ قَنِيتٍ تَتَّبِعْتِ عِبْدَتِ سَيِّحَتِ
تَتَّبِعْتِ وَأَبْكَارًا ﴿ (التحریم: ۱ - ۵) فكفر رسول الله ﷺ عن يمينه وتاب نساؤه
إلى الله تعالى.

وكان عمر رضي الله عنه لما دخل على رسول الله ﷺ فوجده مغضباً قال له:
يا رسول الله ما يشق عليك من شأن النساء، فإن كنت طلقتهن فإن الله معك
وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقال لنسائه:
﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنْكُمْ ﴾ فنزلت الآية على
ذلك، وعدّ هذا من موافقات عمر رضي الله عنه.

هذه هي أهم الأحداث التي عكرت صفو حياة النبي الزوجية، وقد كانت
أسباباً لتشريعات حكيمة في قرآن يتلى إلى يوم الدين، وفيما عدا هذه فقد كن
مؤمنات قانتات، تائبات، عابدات، صوامت، وكن خير معينات له على طاعة
ربه وتأدية رسالته، كما كن مصابيح إشعاع وهداية وعلم في حياة النبي وبعد
وفاته فرضي الله عنهن...

وقد كان رسول الله ﷺ يلاطفهن ولا ينفك عن مؤانستهن والتبسط معهن.
ومن رفقه بهن أنه أتى عليهن وسواق يسوق بهن يسمى أنجشة، وكان يحدو
للإبل فتتشط وتسرع بالسير، فربما يؤلمهن ويتعبهن فقال له: " ويحك يا
أنجشة، رويدك سوقك بالقوارير " ورؤي أن من آخر ما نطق به قبل اللحق
بالرفيق الأعلى الوصية بالنساء.



حبه ﷺ لزوجاته وخدمتهن:

وحب الزوجة حب فطري، لأن فيه سكن النفس، وغذاء العاطفة ورضا القلب، ومبعث هذا الحب الرحمة والشفقة، والرفق بالضعيف، لا مبعثه إرضاء الغريزة الجنسية، وإشباع الشهوة، وإلا فقد قضى شبابه مع زوجة واحدة مسنة تكبره بخمسة عشر عاماً.

وسئلت عائشة عما كان يصنع النبي في بيته قالت: " كان يكون في مهنة أهله " يعني خدمتهم فكان يساعدهم، ويعاون خدمه، ويحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف^(٨٣) نعله ويذهب إلى السوق ويحضر لهم طعامهم، ولا يرى في ذلك منقصة، ولا ما يغض من شرفه وقدره، ولم يؤثر عنه ﷺ أنه ضرب امرأة أو عبداً أو خادماً أو شق عليه في شيء.

تدريب:

١. كم كان عدد زوجات الرسول ﷺ اللاتي دخل بهن؟
٢. وكم كن عندما توفي ﷺ؟
٣. كان عليه الصلاة والسلام يوصي كثيراً بالنساء خيراً. اذكر من أقواله دليلاً على ذلك.
٤. كيف وفق ﷺ بين زوجاته وهن مختلفات في السن والطبائع والأخلاق؟
٥. لم يؤثر هذا العدد من الزوجات على قيامه ﷺ بأعباء الرسالة وتكوين الأمة، وتأسيس دولة الإسلام الأولى فما السبب؟
٦. اجتمع زوجات الرسول ﷺ وطالبته أن يكون لهن من المعيشة ما لنساء الملوك والأثرياء. فما سبب ذلك؟

٨٤. يخصف نعله: يخرزها بالمخصف وهو الإشفى.

٧. وماذا كان موقفه ﷺ من طلبهن؟
٨. كم كانت مدة اعتزاله ﷺ لنسائه؟
٩. ماذا فعل بعد انتهاء مدة اعتزالهن؟
١٠. نزلت آيات من القرآن الكريم تخيّرهنّ فما هي؟ وفي أي سورة؟
١١. ماذا اخترن مما عرض عليهن؟
١٢. لم كان ﷺ يطوف على نسائه بعد صلاة العصر؟
١٣. علام اتفقت عائشة وحفصة رضي الله عنهما؟
١٤. على أيتهما دخل ﷺ أولاً؟ وماذا قالت له؟
١٥. ماذا قال لها رسول الله ﷺ؟
١٦. هل التزمت بما أوصاها رسول الله ﷺ؟ وماذا فعلت؟
١٧. ماذا فعل الرسول ﷺ نتيجة لذلك؟
١٨. ماذا حدث بعد انقضاء الشهر؟ وماذا نزل من القرآن في هذا الشأن؟
١٩. ماذا فعل عليه الصلاة والسلام؟ وماذا فعلت نساؤه؟
٢٠. كيف سارت حياته ﷺ بعد ذلك مع زوجاته رضي الله عنهن؟
٢١. سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها ماذا كان يصنع النبي ﷺ في بيته؟ فبم أجابت؟

النبي ﷺ الأب* :

وكما كان رسول الله الزوج المثالي المتسامح المتغاضي عن الهفوات. كان الأب الحاني العطوف الشفيق، فقد كان محباً لبناته، وأبنائه وقد حزن لفقدهم، وبكى عليهم بكاء الرحمة والشفقة، ومن رعايته لأبنائه تعهده^(٨٤) لابنه إبراهيم وذهابه إليه خارج المدينة كل يوم فيحمله ويشمه ويقبله، وكذلك كان يقبل ولدي ابنته فاطمة ويشمهما ويقول: " هما ريحانتاي من الدنيا " .

تقبله ﷺ لأبنائه:

ولما رآه الأقرع بن حابس وهو يقبل الحسن قال: إن لي عشرة أبناء ما قبلت واحداً منهم. فقال رسول الله ﷺ: **" إنه من لا يرحم لا يرحم "**. وقدم على النبي ﷺ أحد الأعراب فوجد النبي والصحابة يقبلون الأولاد فقال **" أتقبلون أولادكم؟ فقالوا نعم: فقال والله ما نقبلهم. فقال له النبي ﷺ: " أو أملك لك أن الله نزع الرحمة من قلبك "**.

وكان إذا دخلت عليه ابنته فاطمة يقوم لها ويقبلها. ويقول لها: **" مرحبا يا بنتي "** ويجلسها على يمينه. وربما بسط لها ثوبه. فأى إكرام واحترام للأولاد يداني هذا؟. وكان يقول: **" فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني "**. فأى تأكيد لأواصر الحبّ والقربى فوق هذا؟ !

* السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ص ٦٢٧ - ٦٢٨.

٨٥. تعهده: التزامه بزيارته وتقده وتردده إليه يجدد العهد به.

وقد كان يصلي بأمامة بنت ابنته زينب - رضي الله عنها - يحملها على عاتقه (٨٥). فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها. فأَيُّ مثل أروع من هذا في بيئة كانت تحب الذكور وتبغض الإناث بل تتدهن؟.

رفقه ﷺ بالأطفال:

وكان النبي يخطب ذات يوم على المنبر فجاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران، يمشيان ويتعثران فنزل النبي فحملهما ووضعهما بين يديه. وروى عن عبد الله بن الزبير أنه رأى الحسن بن علي يجيء والنبي ساجد فيركب رقبتة، أو قال ظهره، فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ولقد رأيته يجيء وهو راکع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر. ورؤى أن رسول الله ﷺ كان إذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره، فإذا أرادوا أن يمنعوها أشار إليهم: " **أَنْ دَعُوهُمَا** " كما كان يلاعبهما إذا فرغ لهما. فهل رأيت في باب العطف والشفقة على الأبناء، وإشباع رغباتهم في اللهو واللعب أفضل وأسمح من هذا؟

تدريب:

١. كان النبي ﷺ الأب الحاني العطوف الشفيق على أبنائه، اذكر من معاملته لهم ما يدل على ذلك.
٢. ماذا قال الأقرع بن حابس حين رأى النبي ﷺ يقبل الحسن بن علي ﷺ؟
٣. وماذا قال الرسول ﷺ للأقرع؟
٤. جاء أعرابي فوجد النبي ﷺ والصحابة يقبلون الأولاد، فقال: أتقبلون الأولاد؟ قالوا: نعم فقال: والله ما نقبلهم. فماذا قال له النبي ﷺ؟
٥. كيف كان النبي ﷺ يُصلي بأمامة بنت ابنه زينب رضي الله عنها؟
٦. كيف كان الرسول ﷺ يستقبل ابنته فاطمة إذا دخلت عليه؟ فعلام يدل هذا السلوك؟

الرسول مع أصحابه ولين جانبه ومزاحه * :

وكان ﷺ رءوفاً رحيماً بهم، يتعهد حاضريهم، ويسأل عن غاب منهم، ويسلم عليهم ويشمت عاطسهم، ويواسي فقيرهم، ويعين ضعيفهم، ويشاركهم في السراء والضراء، ويعود مريضهم، ويشيع ميتهم، ويكسو عاريهم، ويشبع جائعهم، ويرعى أراملهم، وأيتامهم، ويجالس فقراءهم، ويحنك^(٨٦) أطفالهم، ويبارك عليهم، ويداعب صبيانهم ليدخل السرور على نفوسهم.

ما رأي ما رأى رجله بينهم، ولا عابساً في وجه أحد منهم، ولا استأثر عليهم بشيء، لنفسه ولا لأهله، ولما عرض عليه صاحبه في ركوب البعير في غزوة بدر أن يعفياه من نوبته في المشي أبى، وقال: " ما أنتما بأقوى مني، ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما " وكان مع أصحابه في سفر، فذبحوا شاة، فقال واحد منهم: عليّ ذبحها. وقال الآخر: عليّ سلخها. وقال الثالث: عليّ طبخها، فقال رسول الله ﷺ: " و عليّ جمع الحطب " فقالوا: يا رسول الله نحن نكفيك العمل، فقال: " علمت أنكم تكفوني، ولكني أكره أن أتميز عليكم، وإن

* السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد بن محمد أبو شهبه.

٨٧. يحنك أطفالهم: التحنك: أن يمسح المحنك تمراً أو نحوه ويدلك به حنك الطفل. والحنك باطن أعلى الفم من داخل. والحنك الأسفل من طرف مقدم اللحيتين وهما الحنكان.

الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه " أخرج، وفي حجة الوداع ذهب يشرب من السقاية، فأراد عمه العباس أن يميزه بشارب خاص من البيت، فأبى وقال: " لا أشرب إلا مما يشرب منه الناس ".
غضبه ﷺ عند انتهاك حرمت الله:

وكان لا يميز أهله بشيء ففي قصة المخزومية التي سرقت، وأرادوا أن يشفعوا في عدم إقامة الحد عليها قال: " وأيم الله: لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها " أخرج. ولما جاءت ابنته فاطمة تطلب منه خادماً من السبى وقد مجلت^(٨٧) يداها من الرحى والعمل. أبى وعلمها وزوجها دعوات يدعوها بها عند النوم، وقال: " لا أعطيكم وأدع أهل الصفة^(٨٨) تطوى بطونهم من الجوع، لأجد ما أنفق عليهم ولكن أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم " وروى أصل القصة البخاري.

وكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول: " أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغ حاجته، فمن من أبلغ حاجة من لا يستطيع إبلاغها أمنه الله يوم الفرع الأكبر " أخرج البيهقي والطبراني. وكان لا يأخذ أحداً بذنب أحد، ولا يصدق أحداً على أحد، وروى عنه أنه قال: **" لا يبلغني أحد منكم عن أحد من أصحابي شيئاً، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر "** أخرج ابوداود والترمذي.

فهل رأيت في باب الحرص على الوقوف على أحوال الأمة، وإزالة شكواها، وقطع باب السعاية والوشاية بالرعيّة أبلغ من هذا؟ فلا عجب - وهذا

٨٨. مجلت (بفتح الجيم وكسر ها) تفرحت من الرّحى والعمل وتكون بين الجلد واللحم فيها ماء.

٨٩. أهل الصفة: الصفة: مكان مظلل في مسجد المدينة كان يأوي إليه فقراء المهاجرين ويرعاهم الرسول ﷺ.

بعض ما كان يعامل به أصحابه أنْ أحبوه أكثر من حبهم أنفسهم، وإنْ فدوه بأبائهم وأمهاتهم وأنفسهم حتى شهد بذلك الأصدقاء والأعداء.

تدريب:

١. صف علاقة النبي ﷺ مع أصحابه.
٢. عرض صاحباً النبي ﷺ في ركوب البعير أن يعفياه من نوبته في المشي في غزوة بدر. فماذا قال؟
٣. كان ﷺ مع أصحابه في سفر فذبحوا شاة فقال واحد منهم: عليّ ذبحها. وقال آخر عليّ سلخها. وقال ثالث عليّ طبخها. فقال ﷺ وعليّ جمع الحطب. فقالوا: يا رسول الله نحن نكفيك العمل... فماذا قال لهم؟
٤. عندما أراد بعض الناس أن يشفعوا في عدم إقامة الحد على المرأة المخزومية التي سرقت. فماذا قال الرسول ﷺ؟ وعلى ماذا يدل قوله ﷺ؟
٥. طلبت فاطمة بنت الرسول ﷺ منه خادماً من السبي وقد مجلت يداها من الرحي والعمل. فهل أجاب طلبها؟ وماذا قال؟ وعلى ماذا يدل قوله هذا؟
٦. قال ﷺ: **(أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي)** فما الجزاء الذي وعد به من يفعل ذلك؟

لين جانبه:

النبي المتواضع* :

وكان رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعاً وأبعدهم عن الكبر والخيلاء وحسبك في هذا أنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختر الثاني، وخرج على أصحابه ذات يوم فقاموا له، فقال لهم: " لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضاً " وقال: " إنما أنا عبد، آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد "، ويقول: " لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد الله، فقولوا: عبد الله ورسوله ".

وكان يأكل مع العبد والخادم ويحمل حاجته من السوق، ولما أراد أبوهريرة أن يحمل عنه شيئاً اشتراه قال له: " صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله " وكانت تقابله المرأة في سكك المدينة فتستوقفه فيقف حتى يقضي لها حاجتها. وعن أنس قال: " إن كانت الأمة - الجارية - من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ، فتنتلق به حتى يقضي حاجتها ".

وكان يركب البعير، والحمار، ويردف وراءه غيره، ولا يقبل أن يسير أحد وراءه وهو راكب، وحجَّ على رحل رث، وعليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم، وقال: " اللهم اجعله حجاباً لا رياء فيه ولا سمعة ". ودخل عليه رجل فأصابته من هيئته رعدة فقال له: " هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد " أي اللحم المشقوق المجفف.

* السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد بن محمد أبو شهبة ص ٦٥١ - ٦٥٩.

وقد فتحت عليه الدنيا ودانت له الجزيرة كلها فما أخرجه ذلك عن تواضعه وخلقه، ولما دخل مكة فاتحاً منتصراً طأطأ رأسه حتى لتكاد تمس مقدمة الرجل تواضعاً لله تعالى.

تدريب:

١. كان رسول الله ﷺ أشد الناس تواضعاً وأبعدهم عن التكبر. فما دليل ذلك؟
٢. كان ﷺ يأكل مع الفئات الضعيفة. مثل لذلك.
٣. كان ﷺ يحمل حاجته من السوق. فهل من دليل على ذلك؟
٤. كانت تستوقفه المرأة في سكك المدينة فيقف حتى يقضي لها حاجتها. علام يدل ذلك؟
٥. دخل على رسول الله ﷺ رجل فأصابته من هيئته رعدة. فماذا قال له؟

أدب المزاح النبوي:

إن المزاح كالمداعبة والملاعبة والهزل الذي هو خلاف الجديقال: هزل في قوله أو فعله، أو مزح، أو داعب الكل بمعنى واحد. والسؤال: هل كان رسول الله ﷺ على جلال قدره وسمو مكانته، وانشغال باله بمهام الرسالة وأعباء القيادة وهداية الناس يمزح؟ والجواب، نعم كان يمزح ويداعب بقلّة، لاستيعاب الجدّ وقته كله. إلا أنه كان في مزاحه ومداعبته لا يخرج أبداً من دائرة الحق بحال من الأحوال. وهو في مزاحه ومداعبته يقدم معروفاً لأصحابه بما يدخل عليهم من الغبطة والسرور، وعلى أطفالهم إذا داعبهم من الفرح والمرح والسرور والحبور.

وباستعراضنا للمواقف النبوية الآتية تتجلى لنا الحقيقة وهي أن النبي ﷺ كان يمزح ولا يقول إلا حقاً. وفي الإمكان الاقتداء به في ذلك، لأنه من المقدور المستطاع وليس من خصائصه ﷺ بل هو أدب عام يأخذ به كل مؤمن قدر عليه.

■ حدث أنس بن مالك ﷺ فقال: إن رجلاً أتى النبي ﷺ فاستحمله أي طلب منه أن يحمله على بغير ونحوه. فقال له ﷺ " إنا حاملوك على ولد الناقة " فقال الرجل: يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: " هل تلد الإبل إلا النوق؟ " فكان قوله هذا مداعبة للرجل ومزحاً معه وهو **حق لا باطل فيه.**

■ وحدث النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: استأذن أبو بكر على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً على رسول الله ﷺ فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: ألا لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله فجعل النبي ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضباً، فقال رسول الله ﷺ حين خرج أبو بكر " "

كيف رأيته أنقذتك من الرجل؟ " فمكث أبو بكر أياماً ثم استأذن على رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما، فقال رسول الله ﷺ **" قد فعلنا، قد فعلنا "**.
 ففي هذا الحديث من حسن العشرة وطيب المداعبة ما لا يخفى على متأمل.
 ■ وحدث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: **" يا ذا الأذنين "** وهي مداعبة ظاهرة وهي حق واضح، إذ كل إنسان ذو أذنين اثنتين.
 ■ وحدث أنس بن مالك رضي الله عنه فقال: كان رجل من أهل البادية يقال له زاهر وكان يهدي للنبي ﷺ الهدية من البادية فيجهزه النبي ﷺ إذا أراد أن يخرج. فقال رسول الله ﷺ فيه يوماً: **" إن زاهراً باديئنا ونحن حاضره "**، وكان رسول الله ﷺ يحبه، وكان هو رجلاً دميماً فأتاه النبي ﷺ وهو يبيع متاعه فاحتضنه من خلفه ولا يبصره الرجل، فقال: أرسلني من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ يقول: **" من يشتري هذا العبد "** فقال لرسول الله ﷺ إذن والله تجدني كاسداً، فقال رسول الله ﷺ **" لكن عند الله لست بكاسد أنت عند الله غال "** فالمزاح في هذا الحديث ظاهر بصورة واضحة، ومعه من كمال الخلق وحسن الصحبة، وطيب المخالطة ما لا مزيد عليه.

■ وروى البخاري رحمه الله أن رجلاً كان يقال له عبد الله ويلقب بحمارة وكان مضحك النبي ﷺ، وكان يؤتى به في الشراب أي السكر ليقام عليه الحد، فجاء به يوماً فقال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به.. فقال النبي ﷺ: **" لا تلعه فإنه يحب الله ورسوله "** فقله وكان يضحك النبي ﷺ

ﷺ، دليل على أنه كان يمازحه حتى يضحك، والمزاح يكون بين اثنين فكل واحد يمازح الثاني.

■ وحدث أنس بن مالك ﷺ قال: كان للنبي ﷺ حاد يحدو بنسائه يقال له أنجشة فحدا فأعنت (٨٩) الإبل، فقال رسول الله ﷺ " **ويحك يا أنجشة ارفق بالقوارير** " أى بالنساء، فإطلاق القوارير على النساء مداعبة ظاهرة ووصفهن بالقوارير لضعفهن، فلو سقطت إحداهن من هودجها لتكسرت، ولو كن غير أمهات المؤمنين لصح أن يقال إن الحداء وهو صوت الحادي الرقيق قد يوجد في نفس المرأة أثراً غير صالح.

■ وحدث مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: حدث رسول الله ﷺ نساءه ذات ليلة حديثاً فقالت امرأة منهن يارسول الله كأن الحديث حديث خرافة، فقال لها رسول الله ﷺ: " **أتدريين ما خرافة؟ إن خرافة كان رجلاً من بني عذرة أسرته الجن في الجاهلية فمكث فيهم دهرًا طويلاً، ثم ردوه إلى الإنس، فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من الأعاجيب فقال الناس حديث خرافة** " والمداعبة في هذا الحديث ظاهرة في الرد على القائلة حديث خرافة فبدل أن يؤنبها لاطفها وداعبها، وقص عليها قصة خرافة العذري.

■ حدث الحسن البصري رحمه الله تعالى فقال أتت امرأة النبي ﷺ فقالت يارسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة قال: " **يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز** " فولت العجوز تبكي، فقال: أخبروها أنه لا تدخلها

وهي عجوز. فإن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَهُنَّ إِنْشَاءً ۖ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۖ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾ (الواقعة: ٣٥ - ٣٧).

■ وحدث أن امرأة جاءت تسأل عن زوجها فقال لها النبي ﷺ " **زوجك الذي في عينيه بياض** " فبكت وظنت أن زوجها عمي، فأعلمت أن العين لا تخلو من بياض، فكانت مداعبة كمداعبته ﷺ للعجوز ومصادقاً لما قدمناه من أنه ﷺ لا يقول في مزاحه إلا حقاً. فقد قال أبو هريرة رضي الله عنه قالوا يارسول الله: " **إنك تداعبنا** "، قال: " **إني لا أقول إلا حقاً** ".

تدريب:

١. هل كان الرسول ﷺ على جلال قدره وانشغاله بمهام الدعوة والقيادة -

يمزح؟

٢. بماذا يتميز مزاح الرسول ﷺ؟

٣. هل يمكن الاقتداء به ﷺ في المزاح؟ ولماذا؟

٤. حدث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن رجلاً أتى النبي ﷺ فاستحمله، فقال

له ﷺ: **(إنا حاملوك على ولد الناقة)** فقال الرجل: يا رسول الله ما

أصنع بولد الناقة؟ فماذا قال له رسول الله ﷺ؟ وعلام يدل قوله ﷺ؟

٥. اذكر بعض الأمثلة لمزاح النبي ﷺ.



النبي مع ربه :

كان ﷺ أعرف الناس بربه، وأعلمهم بجلاله وكماله وصفاته، فمن ثم كان أشدهم تقوى وأكثرهم عبادة، وقياماً لليل.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: " كان النبي يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقلت: يارسول الله لم تصنع هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر "؟ فقال: **(أفلا أكون عبداً شكوراً)** وقالت: " كان عمل رسول الله ديمة، وأيكم يستطيع ". وقالت: " كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم " وكان الله تعالى أمره في مبدأ أمره أن يقوم الليل إلا قليلاً. قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْمُزْمَلُ ﴿١﴾ قُمْ أَلَيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾ (المزمل: ١-٤).

فكان قيام الليل واجباً محتوماً، قيل: عليه، وقيل: عليه وعلى أمته، ثم خفف عنه، فنسخ الوجوب وصار مندوباً.

ولم يحدد للقيام وقت محدود، بل ترك ذلك إلى القدرة والاستطاعة قال عز شأنه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّنْ حُصُوه فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ (المزمل: ٢٠).

وقال: ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (الاسراء: ٧٩).



ومع هذا كان دائم العبادة والتهجد ودائم الذكر لله، والتفكير في خلق الله وآلائه، لا يغيب قلبه عن الله، فإن حصل من ذلك شيء بسبب شواغل الدنيا وهمومها استغفر الله تعالى، وهذا هو المراد بقوله: "إنه ليغان على قلبي، وإنني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة" رواه مسلم. وفي رواية البخاري: "أكثر من سبعين مرة".

بعده ﷺ عن التشدد والغلو:

ومع عبادته وتقواه كان أبعد الناس عن التشدد والمغالاة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "صنع رسول الله ﷺ أمراً فترخص فيه، فبلغ ذلك ناساً من أصحابه فكأنهم كرهوه، وتنزهوا عنه فبلغه ذلك، فقام خطيباً فقال: **(ما بال رجال بلغهم عنى أمر ترخصت فيه فكرهوه وتنزهوا عنه، فوالله لأنا أعلمهم بالله وأشدهم خشية)** رواه مسلم، وفي حديث آخر له قال: **"هلك المتنطعون"** (٩١) قالها ثلاثاً، وهم المتنشدون في غير موضع التشديد.

وكان دائم الدعاء ولا سيما إذا اشتد الكرب، وتأزمت الأمور، كما كان دائم الشكر لله، لا يطغيه النصر ولا تبطره النعمة.

وما كانت تشغله عبادته عن دنياه، ولا دنياه عن عبادته، وهكذا راعى رسول الله الفضيحة والوسطية في العبادة، وكان الأنموذج الكامل للمسلم السمع الكريم، وليس أدل على هذا من هذه القصة: روى الشيخان في صحيحهما بسندهما - واللفظ للبخاري - عن أنس رضي الله عنه قال: (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من رسول الله ﷺ، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه. وما تأخر، فقال

٩١. المتنطعون: تنطع في الشيء: غالى فيه وتكلف. وتنطع في كلامه: تفصح فيه وتعمق.

أحدهم: أما أنا فأصلي الليل أبداً!! وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر!!
وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً!! فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال:
" أنتم الذين قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ
وَأَفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي ".
وفي رواية مسلم (فقال بعضهم لا يأكل اللحم، وقال بعضهم لا أنام على فراش) وفي الصحيحين أيضاً عن سعد بن أبي وقاص قال: (ردّ رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أجاز له لاختصينا).

وهذا هو المنهج الوسط الذي جاءت به الشريعة الوسط، للأمة الوسط التي هي خير أمة أخرجت للناس. والإسلام ليس دين رهبانية. فالرهبانية لا تليق بعمارة الكون، وليس من سنن الأنبياء، والذين اتبعوا الرهبانية من اليهود والنصارى ابتدعوها من عند أنفسهم قال الله تعالى: ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ (الحديد: ٢٧).

فهم مع ابتداعهم لها قصدوا ابتغاء رضوان الله بالمبالغة في العبادة، فلم يقوموا بحقها ولم يلتزموا بما ألزموا به أنفسهم.

والإسلام وهو الدين العام الخالد الصالح لكل زمان ومكان ولإصلاح الدنيا والآخرة - لا يتفق مع الرهبانية، وهي نوع من التنطع في الدين وقد نبههم رسول الله كما سمعت.

وفي رواية الطبراني أن عثمان بن مظعون ﷺ لما قال للنبي: (أذن لي في الخصاء)، قال له "إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبَدَنَا بِالرَّهْبَانِيَّةِ الْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ"

وفي رواية أخرى أرشده إلى علاج ما يعاني من مشقة العزوبة فقال له: " لا ، و عليك بالصوم " وصدق الله في وصف الأمة المحمدية حيث قال: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

تدريب:

١. كان ﷺ أعرف الناس بربه. وأعلمهم بجلاله وكماله وصفاته. فما أثر هذه المعرفة والعلم في عبادته؟
٢. النبي ﷺ يقوم الليل حتى تتفطر أقدامه فقالت له عائشة: يا رسول الله لم تصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فبم أجابها؟
٣. ما حكم قيام الليل بالنسبة للرسول ﷺ؟ وما الدليل على ما تقول؟
٤. هل كان لقيام الليل وقت محدد؟
٥. ماذا كان عليه الصلاة والسلام يفعل إذا شغلته شواغل الدنيا عن ذكر الله تعالى؟
٦. قال ﷺ (هَلِكِ الْمُتَنَطِّعُونَ) قالها ثلاثاً. ما معنى المتنتطعون؟ وما سبب قوله هذا؟
٧. قال سعد بن أبي وقاص: (رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ولو أجاز له لاختصينا) فما التبتل؟ وما معنى اختصينا؟ ماذا يهدف الرسول ﷺ من قوله هذا لعثمان بن مظعون؟

تدريب عام على السيرة

- ١- كيف تؤثر دراسة السيرة في كل من:
 - أ- محبة الرسول ﷺ والافتداء به؟
 - ب- إعطاء العظة للحكام؟
 - ج- فهم الكتاب والسنة؟
- ٢- اذكر الأدلة على بشرية الرسول ﷺ.
- ٣- ما الهدف من تأكيد بشرية الرسول ﷺ؟
- ٤- ما العلاقة بين اعتدال الجسم وتناسب أجزائه. واستقامة العقول والنفوس؟
- ٥- ما أثر تناسق الجسم في الدعوة والاستجابة لها؟
- ٦- وضح الفرق بين وصف هند ووصف أم معبد للنبي ﷺ.
- ٧- اذكر ما تدل عليه أوصاف النبي ﷺ.
- ٨- قال رسول الله ﷺ: " حُب إلي من دنياكم " النساء، والطيب وجعلت قرّة عيني في الصلاة".
 - أ- اذكر أمثلة تدل على كثرة استخدام النبي ﷺ للطيب.
 - ب- ما معنى أن الصلاة من شؤون الدنيا؟
- ٩- هات مثالا على سمو أخلاق النبي ﷺ.
- ١٠- اذكر الآداب المحمدية.
- ١١- اشتهر النبي ﷺ بالكرم.
 - أ- بماذا شبه كرمه؟
 - ب- متى يزداد كرمه؟
 - ج- اذكر أمثلة لكرم النبي ﷺ.

- ١٢- ناقش كل عبارة من هذه العبارات. اشتهار النبي ﷺ بـ:
- أ- العفو والحلم.
 - ب- الشجاعة بكل أنواعها.
 - ج- الصبر.
- ١٣- كيف كان النبي ﷺ يعامل أزواجه؟
- ١٤- ناقش هذه العبارات:
- أ- الرسول ﷺ هو الأب المثالي.
 - ب- كان الرسول ﷺ لين الجانب مع أصحابه، ويمازحهم.
 - ج- النبي ﷺ هو المثل الأعلى للتواضع.
- ١٥- اذكر كتب السيرة التي قرأتها مع ذكر الجوانب التي عالجها كل كتاب.



النظام الاجتماعي في الإسلام

المجتمع وعلم الاجتماع:

علم الاجتماع هو أحد فروع العلوم الاجتماعية الهامة كالتاريخ والجغرافيا وعلم الأجناس.

ويُعرّف علم الاجتماع بأنه هو العلم الذي يهتم بدراسة المجتمع الإنساني دراسة علمية هدفها الوصف والتحليل والتنبؤ كلما أمكن ذلك. إذن علم الاجتماع يدرس ظواهر المجتمع الإنساني ونظمه وبناءه الاجتماعي ومشكلاته.

اهتمام المسلمين بعلم الأجناس والاجتماع:

من مظاهر تكريم الخالق للإنسان أن تكون له أسرة يستقر فيها وأن يكون له أب وأم وأن يكون من نسب نقي لاخالطه شبهة الزنا واختلاط الأنساب، ونلاحظ ذلك في كثير من آيات القرآن مثل قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا

رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) سورة النساء.

ومن الأحاديث قوله (ﷺ): (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه) متفق عليه.

واشتهر أبوبكر الصديق ؓ وبعض الصحابة بمعرفة الأنساب.

ولا شك أن علماء المسلمين هم الذين أرسوا قواعد علم الاجتماع وعلي رأسهم ابن خلدون الذي يعتبر أشهر علماء الاجتماع.

المجتمع عند علماء الاجتماع:

هو بناء أو كيان اجتماعي ينشأ من تفاعل مجموعة معينة من الأفراد والجماعات في بقعة جغرافية محددة يستخدمون مواردها لسد احتياجاتهم المادية والروحية، ويتضح من هذا التعريف أن المكونات الأساسية للمجتمع ثلاثة وهي الوحدة الجغرافية والتفاعل الاقتصادي والثقافي والاجتماعي، حيث تميز هذه المكونات المجتمع الإنساني عن سائر المجتمعات غير الإنسانية. وبناءً على التعريف السابق نجد المجتمعات تنقسم إلى عدة مستويات وهي:

المجتمع العالمي: ويشمل جميع أفراد الجنس البشري.

المجتمع الإقليمي: الذي يجمع بين أفرادِه موقِعاً يطل على جوانب أحد البحار مثل إقليم البحر الأبيض المتوسط أو حوض وادي النيل أو دول الخليج أو غيرها.

المجتمع القومي: مثل مجتمعنا السوداني أو المصري أو الليبي وغيره.

المجتمع المحلي: وهو عبارة عن جماعة من الناس تسكن في رقعة من الأرض، وهو إطار جغرافي محدد ووحدة اقتصادية مميزة بحيث تتحقق لأعضائه رغباتهم واحتياجاتهم، وقد يكون محافظة أو ولاية أو قبيلة من القبائل.

المجتمع البلدي: ويشمل البلديات أو المحافظات.

وأخيراً مجتمع القرية أو البادية: وهو يتكون من الأفراد الذين يشكلون مجموعة تنتمي غالباً إلى عشيرة من العشائر.

طبقات المجتمع عند العرب:

طبقات المجتمع عند العرب ست وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة، فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن تجمع الأفخاذ، والفخذ يجمع الفصائل، فمثلاً خزيمة شعب، وكنانة قبيلة وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة.

مفهوم المجتمع في المصطلح الإسلامي:

هو مجتمع معنوي، أي أن العلاقات الاجتماعية فيه تقوم على الروابط الأولية من تواد وتراحم وتكافل قال ﷺ: " **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** " متفق عليه.

مفهوم الوطن في الإسلام:

الوطن في الإسلام هو الدولة الإسلامية بأطرافها الشاسعة وشعوبها المختلفة، فالمسلم أخو المسلم أينما كان لقوله تعالى ﴿ **يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّيَ فَاعْبُدُونِ** ﴾ (٥٦) سورة العنكبوت.

ولقول الرسول ﷺ: (**... المسلم أخو المسلم...**) متفق عليه.

وقال الشاعر:

يا أخي في الهند أو في المغرب * * أنا منك أنت منى أنت بي
لا تسئل عن عنصري عن نسبي * * إنه الإسلام أُمِّي وأبِّي
ومع ذلك فإن الإسلام يعترف بجميع الكيانات الاجتماعية كالقوميات
والقبائل لقوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾
سورة الحجرات.

وفي عهد الدولة الإسلامية الأولى كانت اليمن ولالية وكذلك حضرموت
والبحرين والعراق والشام ومصر وأقطار أخرى.
إلا أن الإسلام يحرم التعصب للقبيلة أو العنصر ولا يعترف إلا بالولاء لله
ولدينه ولأمة الإسلام.

أسئلة للنقاش:

١. وضّح مفهوم علم الاجتماع؟
٢. عرّف المجتمع في مفهوم علماء الاجتماع؟
٣. وضّح الفرق بين مفهوم المجتمع عند علماء الإسلام وعلماء الاجتماع؟
٤. اذكر ثلاثة من الصحابة الذين اشتهروا بمعرفة الأنساب.
٥. اذكر ثلاثة من المسلمين الأوائل الذين برعوا في علم الاجتماع.
٦. وضّح الفرق بين طبقات المجتمع عند العرب وعند علماء الاجتماع؟

أسس التربية الروحية في الإسلام

لقد عمل الإسلام على إقامة المجتمع الفاضل الذي يعيش أفرادُه على أساس متين يشعر فيه الجميع بالحرية والإخاء والمساواة ويعبدون رباً واحداً. وهذا المجتمع لا بد له من أمرين أحدهما لتربية الضمير والآخر لحماية هذا المجتمع.

الأمر الأول: العبادة لتربية الضمير:

إن العبادة ضرورية ليأثف المؤمن مع الناس ويرتبط بهم ارتباطاً روحياً ويشعر بالاطمئنان إذا كان ذاكراً لله قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (الرعد ٢٨). وهذا ما يظهر في حكمة مشروعية الصلاة والصيام والزكاة والحج.

حكمة مشروعية الصلاة:

جعل الله تعالى الصلاة عبادة تهدف إلى تطهير الإنسان وحفظه من المعاصي ومنعه من الفساد، ولا تكون الصلاة محمودة إلا إذا هذبت النفس الإنسانية وطهرتها وعصمت صاحبها عن المعاصي قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ العنكبوت ٤٥. والصلاة لا تكون محمودة إلا إذا كانت خالصة لوجه الله. أما إذا كانت نفاقاً ورياءً فإن صاحبها مذموم قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَءَوْْنَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ الماعون.

أما الصلاة المذمومة فيلزمها أمران:

الأمر الأول: السهو عن ذكر الله وإخلاص العبادة لله وبذلك يفقد الفرد أهم صفات الإنسان الصالح.

الأمر الثاني: فقد التراحم بينه وبين الجماعة التي يعيش بينها فيصبح إنساناً أنانياً لا يعاونهم في حياتهم ولا يعين المحتاج منهم ولا يطعم المسكين ويقهر اليتيم.

الحكمة من مشروعية الصيام:

إن الصيام يبعث روح الرحمة والعطف على الضعيف والمسكين وذلك حين يشعر الصائم بحرارة الجوع والعطش، فالصيام يهذب النفس ويربي الضمير الاجتماعي، ويقوي إرادة المؤمن فيسيطر على شهواته وملذاته، ولقد روى أن النبي ﷺ كان أجود ما يكون في رمضان فإذا جاءت العشرة الأخيرة كان أجود من الريح المرسلة. أخرجه البخاري ومسلم.

الحكمة من مشروعية الزكاة:

الزكاة فريضة شرعية وفيها تعاون روحي ومادي وعبادة روحية يتقرب بها العبد إلى ربه وفيها تطهير للنفس من أمراض الأنانية والبخل وحب التملك لذلك قال تعالى أمرا نبيه ﷺ: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ التوبة ١٠٣.

وفي الزكاة بركة وزيادة للمال لقوله تعالى: ﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ

الْصَّدَقَتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ البقرة (٢٧٦) وقوله تعالى:

﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبِّا لَّيْرَبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ الروم (٣٩).

الحكمة من مشروعية الحج:

الحج عبادة اجتماعية تكون بالبدن والمال، فلا تجب إلا بالاستطاعة البدنية والمالية لقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران (٩٧).

ويعتبر الحج مؤتمراً إسلامياً يلتقي فيه المسلمون من كل حذب وصبوب ليتعارفوا وليتعاونوا فيما بينهم لقوله تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾ الحج (٢٨). وفي الحج يشعر الجميع بأنهم متساوون في الحقوق والواجبات وفي ذلك المكان المقدس لا فرق بين أمير وخفير. فالناس أمام الله وفي حرمة الأمن وفي أرضه المقدسة يستشعرون مشاهد البعث والقيامة في موقف تقشعر منه الأبدان وتلين القلوب لذكر الله فيهتفون جميعاً لبيك اللهم لبيك.

الأمر الثاني: تزكية الاتجاه العام الفاضل:

إن التربية الصالحة لضمير الأمة تؤدي إلى تكوين رأي عام فاضل يحكم على تصرفات الأفراد والجماعات وفق معايير أخلاقية فاضلة مما يساعد على ضبط السلوك الاجتماعي وحماية المجتمع من الانحراف. وفي سبيل تكوين رأي عام فاضل لابد من أمرين:

الأول: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وأول أمر اتجه إليه الإسلام في تكوين رأي عام فاضل هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليمتتع الأشرار عن شرورهم ويعم الخير وتتحقق السعادة والاستقرار. قال تعالى: ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ آل عمران (١٠٤).

قال ﷺ: " مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا ؛ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا، ونجوا جميعاً ". أخرجه البخاري.

الثاني: حث الإسلام على الحياء:

لأنه أساس الائتلاف بين الأفراد ولأنه يحمل المرء على إظهار الجميل وإخفاء القبيح، ولأن الحياء هو الذي يصنع اللياقة الاجتماعية التي يظهر فيها الخير ويختفي الشر، ولذلك حث النبي ﷺ عليه فقال: " الحياء لا يأتي إلا بخير " متفق عليه. وقال ﷺ (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت) أخرجه البخاري.

أسئلة للنقاش:

١. لابد من أمرين لتربية الضمير وحماية المجتمع فما هما؟
٢. متى تكون الصلاة مقبولة ومحمودة؟
٣. الصلاة المذمومة يلزمها أمران ناقش؟
٤. ما هي الحكمة من مشروعية الصيام؟
٥. ما هي الحكمة من مشروعية الزكاة؟
٦. الحكمة من مشروعية الحج؟
٧. لماذا عمل الإسلام على تكوين رأي عام فاضل؟
٨. ما حكم الذين يرون المنكر ولا ينهاه عنه؟
٩. لماذا حث الإسلام على الحياء؟

مقومات المجتمع الإسلامي

- من أهم المقومات التي قامت عليها الحكومة الإسلامية الأولى:
١. العدل: أمر الإسلام بإقامة العدل ، وكرّر الأمر به في صور شتى تارة بذكره كقوله تعالى: ﴿ أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ وتارة بالنهي عن الظلم ، وكراهة أهله كقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَعِفَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤٠) سورة النساء.
 - وقوله عليه الصلاة والسلام: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَي يَدِيهِ أَوْشَكَ اللَّهُ أَنْ يَعْمَهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ) أخرجه الترمذي.
 ٢. المساواة: قرّر الإسلام مبدأ المساواة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ وقوله عليه الصلاة والسلام: (الناس كأسنان المشط) أخرجه الشهاب القضاعي.
 ٣. التآلف والوحدة: دعا الإسلام في أكثر من موضع إلي الوحدة وعدم الفرقة فقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذَهَبَ رِجْصُكُمْ ﴾ وقال: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ آل عمران (١٠٣)، وقال الرسول ﷺ: (المسلمون يد علي من سواهم) أخرجه الطبراني.

٤. النصيحة: ويدخل فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد عني بها الإسلام فجعلها من الدين فقال عليه الصلاة والسلام: (الدين النصيحة، قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) أخرجه مسلم، ولعن الله بني إسرائيل لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، وقال عليه الصلاة والسلام: " إن الله يرضى لكم ثلاثاً ثم ذكر منها... أن تتأصّحوا من ولّاه الله أمركم " أخرجه مالك في الموطأ.

٥. التعاون: فقد أمر به الكتاب فقال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ المائدة (٢).

وكانت الولايات علي عهد رسول الله ﷺ تكاد تنحصر في قيادة الجند ، وولاية الصلاة والتعليم ، وولاية الصدقات والأموال ، وولاية القضاء والمظالم - وولاية التشريع.

فأما قيادة الجند فكانت إليه ، يدعو إلي الجهاد ، ويعبئ الجيش فإذا منعه موانع من قيادة ، عهد إلي بعض أصحابه بها ، ولم يكن له ﷺ جيش خاص ، وإنما كان المسلمون الذين في المدينة وما جاورها يكونون جيش الحكومة الإسلامية ، ويلزمهم الخروج عند الاستدعاء لا يعفي من الخروج إلا من أقعده المرض أو الضعف المعجز ، أو لم يجد نفقة. وكان أحدهم يحزن أشد الحزن علي تخلفه عن الجهاد حتّى أنزل الله قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾.

وأما ولاية الصلاة والتعليم , فكان الرسول ﷺ يؤم أصحابه بالمدينة ويرسل بعض أصحابه إلى الجهات النائية والقبائل التي أسلمت ليؤمّوهم ويرشدوهم, ويعلموهم القرآن.

وأما ولاية الصدقات و الأموال فكانت جبايتها إلى من يختارهم من أصحابه العارفين بأحكامها يجمعونها من أصحابها , ويحضرون بها إلى النبي ﷺ فيوزعها لوقتها دون أن يتخّر منها شيئاً.

وأما ولاية القضاء والمظالم , فكانت إليه في المدينة المنورة , وكان يرسل أمثـل أصحابه إلى الجهات البعيدة ليقوموا بأمر القضاء , فقد أرسل بعض أصحابه إلى اليمن والبحرين ومكة.

وأما ولاية التشريع فكانت له وحده , لأنه إنما أرسل ليشرع للناس دينهم, ويهديهم إلى ربهم , ولا ينطق في ذلك عن هوي , وإنما يصدر فيه عن الوحي ينزل به الروح الأمين علي قلبه فيقرؤه علي الناس قرآناً مبيناً.

تلك هي أهم الولايات علي عهد الرسول ﷺ , ولم تقتصر أعمال الحكومة في عهده عليها , بل تجاوزتها إلي كثير من الأعمال التي دعت إليها الحاجة , واقتضاها تنظيم العمل مثل الكتابة والمحاسبة والترجمة والحراسة , فكان لكل هذه الأعمال رجال من أصحابه يقومون بها تحت إرشاده وتوجيهه.

٦ - التكافل الاجتماعي:

المراد بالتكافل الاجتماعي في معناه اللغوي أن يكون أفراد الشعب في كفالة جماعتهم. وبذلك يكون الضعيف والفقير واليتيم في كفالة أقرب الناس إليه من القادرين، وكان أبوبكر الصديق ينفق علي ابن خالته مسطح بن أثاثه فلما وقع في الإفك وخاض مع الخائضين منع عنه النفقة فأنزل الله قوله:

﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ النور (٢٢).

فاستغفر أبوبكر رضي الله عنه ورجع عن قراره وأعاد النفقة لابن خالته الفقير مسطح بن أثاثه.

والتكافل الاجتماعي في المفهوم الإسلامي أن يقوم جميع أفراد المجتمع بالمحافظة علي مصالح الأفراد ودفع الضرر عنهم، ثم المحافظة علي كيان المجتمع ودفع الضرر عنه. قال عليه السلام: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وشبك أصابعه) أخرجه البخاري، وقال عليه السلام: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى) أخرجه البخاري.

كفالة الأيتام والأرامل أرفع درجات التكافل:

قال الرسول ﷺ: " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا " وقال بإصبعيه السبابة والوسطى ". أخرجه البخاري.

وقال ﷺ: " الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل " أخرجه البخاري.

التكافل الاجتماعي حقوق وواجبات:

١. من ثمرات التكافل الاجتماعي أن يحس كل واحد في المجتمع بأن عليه واجبات يجب أن يؤديها بإتقان وإخلاص، وعليه أن يدرك أن تقصيره في أداء واجبه يساهم في تفكك المجتمع وتخلفه.
٢. للفرد حقوقه الاجتماعية والسياسية يجب أن ينالها في كل الظروف.
٣. يجب على الدولة أن تقوم بكفالة ورعاية جميع المستضعفين كالأيتام والأرامل وكبار السن والمرضى والفقراء وأبناء السبيل والعاطلين عن العمل.
٤. يجب على الدولة أن تقوم بتوزيع الأعمال بمقدار مواهب الناس وقدراتهم العقلية والبدنية دون إهمال أي فئة من فئات المجتمع.
٥. إن التكافل الاجتماعي يتطلب سد حاجة المحتاجين والعاجزين ويهيئ فرص العمل للقادرين.

أسئلة للاستيعاب والنقاش:

١. وضح أهمية العدل بين الناس.
٢. هات دليلاً قرآنياً ينهى عن الظلم.
٣. وضح قيمة التعاون بين الناس.
٤. اذكر صوراً وأشكالاً للتعاون بين المسلمين في عهد الرسول ﷺ.
٥. ما هي أهمية التكافل الاجتماعي بين الناس؟

٧- الشورى منهج متكامل:

إن مبدأ الشورى ورد في نص القرآن بصيغة الأمر الموجه إلى الرسول (ﷺ) في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ آل عمران (١٥٩). كما ورد وصفاً للمؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَى﴾ الشورى (٣٨).

وهو ما طبقه النبي (ﷺ) في حياته وتصرفاته العامة، فيما عدا ما نزل به الوحي، كما طبقه الخلفاء الراشدون من بعده.

ولا يقتصر نظام الشورى في الإسلام علي مجال السياسة الشرعية ومشاكل الحكومة الإسلامية ولا يقف عند المجالس التشريعية والتنفيذية - وهو ما يعرف بأهل الحل والعقد - بل يتعدى ذلك إلي جميع النواحي الاقتصادية والعسكرية والاجتماعية و حياة الأفراد والجماعات.

فالمسلم يأخذ بمبدأ الشورى حتى تستقيم حياته وإليك بعض الأمثلة:

أ- عندما وقعت حادثة الإفك، حزن الرسول (ﷺ) وأصابه الهم والغم فاستشار أحب الناس إليه وهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأسامة بن زيد (رضي الله عنه) والجارية بريرة، فقال أسامة (رضي الله عنه): هم أهلك يا رسول الله ولا نعلم عنهم إلا الخير.

ب- جاءت فاطمة بنت قيس تستشير النبي (ﷺ) وقد خطبها معاوية وأبو الجهم، فأشار إليها النبي (ﷺ) إلى من هو أفضل منهما، وهو أسامة بن زيد، وفي ذلك إشارة إلى الاستفادة من خبرات الكبار وأرباب الأسر لكي يؤدي ذلك إلى الحياة المستقرة، وعلى الشباب أن يحترموا آراء الآباء والأمهات، إذ بعدم ذلك سرعان ما ينكشف الخداع ويتحول

الحب الخادع إلي نزاع بين الزوجين ثم يقع الطلاق، ويدفع الأطفال الأبرياء الثمن غالياً، وكان يمكن تجنب مثل هذه المشكلات إذا كانت الأمور قائمة علي أساس من الشورى والاستفادة من تجارب الكبار.

٨- طاعة ولي الأمر:

يجب علي الناس طاعة ولي الأمر والخضوع للسلطة والنظام وهذا أمرٌ ضروري لتمكين الدولة من تنفيذ أهدافها وتحقيق أغراضها القومية، ويجب علي الحاكم في مقابل ذلك الالتزام بأحكام الشريعة وخضوعه للشورى وتحمله للمسئولية والحفاظ علي حقوق الشعب ورد المظالم إلى أهلها وإقامة العدل بين الناس.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (٥٩) سورة النساء.

وقال (ﷺ) (السمع والطاعة علي المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة). أخرجه البخاري.
وقال أبوبكر الصديق (رضي الله عنه) حين ولي الخلافة (أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم).

أسئلة للاستيعاب والنقاش:

١. فيم يتمثل مبدأ الشورى في الإسلام؟
٢. متى تجب طاعة ولي الأمر؟ دّل على ما تقول؟

الأعراف والعادات والتقاليد:

العُرفُ لغةً: المعروف أو المعلوم وهو خلاف النُّكر.

واصطلاحاً: ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم وساروا عليه من قول أو فعل. والعادات والتقاليد والأعراف بمعنى واحد.

وكان للعرب في الجاهلية عادات اتخذوها فأصبحت عندهم كالمعتقدات مثل الشجاعة والجود وإكرام الضيف ولعب الميسر وشرب الخمر، وكذلك الحال عند سائر الشعوب والقبائل، ولا تزال مناطق كثيرة في العالم تحكم بالعادات والأعراف، أو ما يعرف بالقوانين العُرفية سواء كانت مكتوبة أم محفوظة في الصدور، كنظام الأجاويد عندنا في السودان.

موقف الإسلام من العادات والتقاليد:

تتقسم الأعراف من الناحية الشرعية إلى قسمين وهما العرف الصحيح والعرف الفاسد. فالعرف الصحيح هو ما اعتاد عليه الناس ولا يخالف دليلاً شرعياً من الكتاب والسنة ولا يبطل واجباً ولا يحل حراماً، ولا يضر بالأفراد والجماعات، مثل: الشجاعة، وإكرام الضيف، واحترام الكبير، ورحمة الصغير، وغيرها من الآداب، والفضائل ومكارم الأخلاق.

مكانة العرف في الشرع الإسلامي:

اعتمد الإسلام الأعراف الموافقة للشريعة التي كانت سائدة في الجاهلية ورفض العادات التي تتعارض مع الشريعة الإسلامية، وأقر الشروط بين الناس إلا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً، عن ابن عمر عن النبي ﷺ (كل شرط خالف كتاب الله فهو باطل، وإن اشترط مائة شرط) أخرجه البخاري وأصبح العرف مصدرًا من مصادر التشريع الإسلامي.

أما العرف الفاسد: فهو ما تعارف عليه الناس في المنكر، مثل: اعتيادهم التعامل بالربا والقمار وشرب الخمر، والاختلاط بين الرجال والنساء في المناسبات، والزيارات الخاصة. وفي الأعياد. ومصافحة النساء، والمغالة في المهور، وتقليد اليهود والنصارى في عاداتهم، وتقاليدهم وملابسهم.

حكم العرف الفاسد:

العرف الفاسد بدعة في الدين ومفسدة يلحق ضررها بالأفراد والجماعات وفيها استهتار بالدين واستخفاف بأحكامه ولذلك تعتبر البدع والخرافات من صفات الجاهلين وأخلاق الفجار والفساق العصاة المخالفين لأحكام الله. قال تعالى: ﴿ أَفَجَعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْجَرِمِينَ ﴾ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ القلم { ٣٨ - ٣٥ }.

العادات الضارة في السودان:

يتميز السودان بأعراف عظيمة خاصة في مجال التعايش السلمي، وفض النزاعات بين القبائل والأفراد والجماعات، وكذلك في مجال التكافل الاجتماعي وإغاثة الملهوف ونصرة الضعيف والمظلوم. ولكن هنالك عادات وتقاليد ضارة بالأفراد والجماعات، مثال ذلك: عادات الوشم (الشلوخ) التي تتبعها قبائل كثيرة، وهنالك عادات كثيرة تتبع أثناء مراسم الزواج والمناسبات والمآتم. ولكن أسوأ هذه العادات الضارة هو الخفاض الفرعوني المنتشر في أغلب أنحاء السودان.

العادات الغذائية الضارة:

قال العرب (قليل من الطعام لا يضر).

وجاء الإسلام وشرع للناس أن يأكلوا من الطيبات بشرط عدم الإسراف في تناول الطعام فقال ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ والقرآن يصف أولئك

الجهلاء الذين ينساقون وراء شهواتهم بصفات الحيوان قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى هُمْ﴾

وجاء النبي ﷺ ليضع لنا قانون الغذاء والصحة فقال (ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه).

وورث المسلمون هذا التشريع العظيم عبر القرون ولكن نجد اليوم أن تلك الموازين قد اختلت وأصبح الجري وراء الشهوات غاية الإنسان، فصار يتناول الطعام دون ضوابط ، ودون أن يفرق بين الضار والنافع من الطعام، بل أصبح الإنسان أسيراً للدعاية الإعلامية التي تبتثها القنوات الفضائية في كل لحظة، وكذلك الإذاعات والصحف ولوحات الإعلانات دون أن يعرف الأضرار الناتجة عن تناول المشروبات الغازية فظهرت أمراض العصر، مثل: أمراض السرطان والسكري وارتفاع ضغط الدم وسوء الهضم وأمراض الكلى والمسالك البولية، والأسوأ من ذلك أمراض السمنة الناتجة عن زيادة الوزن، ونتجت عن ذلك أمراض القلب والشرابيين.

والمخرج من هذه المصيبة هو الرجوع إلى تناول الأغذية الطبيعية التي جربها الناس عبر القرون ويجب تناول الطعام بقدر معلوم، كما يجب على الإنسان أن يمارس الرياضة بصورة يومية.

أسئلة للنقاش والاستيعاب:

١. عرف العرف لغة واصطلاحاً؟
٢. ما المراد بالعرف الصحيح؟ هات مثلاً على ذلك؟
٣. وضح العرف الفاسد وهات مثلاً لذلك؟
٤. قارن بين نظام الأجاويد المعروف في السودان وبين أساليب فض النزاعات؟
٥. وضح الآثار السالبة الناتجة عن عمليات خفاض الإناث؟
٦. اشرح الآثار والأضرار الناتجة عن تناول المشروبات الغازية والمعلبات والمنتجات الصناعية التي تستخدم فيها الكيماويات؟
٧. وضح الآثار والأضرار الناتجة عن السمنة وزيادة الوزن؟

حقوق الإنسان في الإسلام

لقد كرم الله سبحانه وتعالى الإنسان على سائر مخلوقاته فأسجد له الملائكة وجعله خليفته في الأرض.

وقد شرع الله سبحانه وتعالى في الإسلام الشرائع التي تحفظ للإنسان كرامته وتميزه عن سائر المخلوقات، حيث سخر له كل خيرات الأرض. ولم يربط الإسلام حقوق الإنسان بجنس أو لون أو دين. فهناك حقوق يفرض الإسلام مراعاتها بعدل لكل بني البشر. والحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان أشمل وأعم، وربط رعايتها بالعبادة، وبذلك يتميز الإسلام على سائر التشريعات البشرية.

الحقوق التي كفلها الإسلام للإنسان: حق الحياة وضمانها، حق الحرية، الإخاء والمساواة.

(أ) حق الحياة وضمانها:

الحياة منحة من الله تبارك وتعالى للإنسان. لا يملك أحد انتزاعها بغير إرادة الله تعالى. قال تعالى ﴿وَأَنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَحَنُ الْوَارِثُونَ﴾ (الحجر: ٢٣). وقال: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾، (النجم: ٤٣) وقال: ﴿إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ (ق: ٤٣).

وقد أعطى حق انتزاع الحياة من الأفراد للدولة وفق قانون الجنايات لمصلحة المجتمع، وحماية الأفراد. وفي ذلك يقول القرآن الكريم: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾ (البقرة: ١٧٩). والعدوان على حياة فرد بدون حق عدوان

على المجتمع كله ؛ والانتقام من هذا الجاني بالقصاص هو إحياء للمجتمع كله. قال تعالى: ﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ (المائدة: ٣٢).

ولم يكتف الإسلام بإعلان (مبدأ حق الحياة) بل أعلن مع ذلك وجوب صيانة الحياة من كل ما يقضي عليها أو يُتلفها أو يُضعفها، فأعلن وجوب العناية بالصحة العامة، ودفع الأمراض والأوبئة عن المجتمع. ففي قصة الوباء (طاعون عمواس) الذي حصل في عهد عمر - رضي الله عنه - منع عمر دخول الجيش إلى الأرض الموبوءة عملاً بقول رسول الله ﷺ: **(إِذَا كَانَ الْوَبَاءُ بِأَرْضٍ وَلَسْتَ بِهَا فَلَا تَدْخُلْهَا، وَإِنْ كُنْتَ بِأَرْضٍ بِهَا فَلَا تَخْرُجْ مِنْهَا)** أخرجه البخاري ومسلم.

وأما أمر الأفراد برعاية صحتهم ونهيمهم عن كل ما يضعفها فنجد ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ (الأعراف)، وقول الرسول ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ مَا أَنْزَلَ دَاءً إِلَّا جَعَلَ لَهُ شِفَاءً أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ فَتَدَاوُوا)** أخرجه البخاري ومسلم. ونهى الشارع عن إرهاب المسلم ولو بالعبادة فقال ﷺ لبعض صحابته: **(أَلَمْ أَخْبَرَ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ وَلَا تَأْتِي أَهْلَكَ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَلَا تَفْعَلْ، وَلَكِنْ صُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَأَتِ أَهْلَكَ، فَإِنَّ لَجَسْمِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لَزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا)**. أخرجه البخاري وغيره.

وقد فاض التشريع الإسلامي بالأحكام المتفرعة عن حق الحياة وما تعلق به من حفظ الصحة، وفيما يلي أمثلة لهذه الأحكام:

(أ) أحكام تتعلق بحفظ الحياة:

١. تحريم قتل النفس بغير حق، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي

حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الأنعام: ١٥١).

٢. عقوبة الإعدام للقائل بغير حق، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ

فِي الْقَتْلِ﴾ (البقرة: ١٧).

٣. القتل بحق، وهو إعدام القائل، وقتل الخارج على الجماعة وأنظمتها العامة في بعض الحالات.

٤. تحريم الانتحار مهما كان الباعث على ذلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا

أَنْفُسَكُمْ﴾ (النساء: ٢٩).

٥. حق الدفاع عن النفس فمن صال على إنسان ليقتله جاز للمهاجم أن يدرأ عن نفسه الخطر ولو بقتل الصائل لأنَّ المهاجم معتدٍ، والعدوان على حياة إنسان بغير حق ولا عذر مُبِيح لإهدار دم المعتدي.

٦. من أكره على قتل إنسان ظلماً، لا يجوز له أن يرتكب جريمة القتل، ولو كان في امتناعه قضاء على حياته. إذ لا يجوز له أن يفترق حياته بحياة غيره.

٧. من الأهداف التي شرع الجهاد من أجلها حماية " حق الحياة لأبناء الشعب "، فإن الحرب العدوانية من جانب الأعداء تعرض حياة الأمة وأرواح أبنائها للخطر.

٨. إذا خرجت فئة على جمهور الشعب وحملت السلاح في وجهه وجب

قتالها حتى تفنى إلى الحق، قال تعالى: ﴿وَأِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

أَقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَتِّلُوا
الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۗ ﴿الْحَجَرَات: ٩﴾.

٩. وإذا تجمّع بعض الأَشْقِيَاءِ وكونوا عصابات تقطع الطرق، وتقتل
الأنفس، وتسلب الأموال، وتخيف الأمنين، وجبت عقوبتهم بأنواع من
العقوبة منها الإعدام بكيفية خاصة. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ
تُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا
أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۗ
(المائدة: ٣٣).

(ب) أحكام تتعلق بحفظ الصحة:

١. تحريم المسكرات والمخدرات، فمن مقاصد الشريعة حفظ صحة الناس.
٢. تحريم الزنا والفواحش الجنسية، لما في ذلك من أضرار صحيّة وخلقية.
٣. تحريم أكل ما يضر الآكل، ولو كان الطعام المأكول في حدّ ذاته مفيداً لغير الآكل. فمن أخبره طبيب حاذق أنّ أكل اللحم أو الخبز مثلاً يضره، عليه الالتزام بأمر الطبيب حفاظاً على صحته.
٤. تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وهذه مما تكفل الطب الحديث ببيان أضرارها الصحية.
٥. النهي عن إدخال اليد في الإناء قبل غسلها تجنباً لمخاطر تلوث الطعام بما علق باليد من أوساخ.
٦. إيجاب الأكل عند إشراف الجائع على الخطر، أو إضرار الجوع بصحته حتى لو كان ذلك في شهر رمضان.
٧. إيجاب تغطية الإناء المكشوف إذا كان فيه ماء أو طعام حتى لا يفسد ويصبح ضاراً بالصحة.

ب- حق الحرية

تمهيد: حق الحرية:

من تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية يبدو أن الإسلام لا يرى قيمة للحياة الإنسانية بدون الحرية. فما هي الحرية؟

تطلق الحرية في اللغة على الخلوص من العبودية، فيقال: هو حرّ، أي غير مسترق ولا مملوك ٠٠ وتطلق على الخلوص من القيد فيقال: هو حرّ، أي غير أسير. وتطلق على الخلوص من كل شيء دخيل، فيقال: فرس حرّ، أي عتيق الأصل، ليس في نسبه هجنة. ويقال: أرض حرة أي لا رمل فيها. ورملة حرة، أي لا طين فيها. وطين حرّ أي لا رمل فيه. وتطلق بمعنى الشرف والطيب والجودة، فيقال: هو حرّ أي كريم شريف طيب الأصل، ويقال: هو من حرية القوم، أي أشرفهم، وحرّ من كل شيء أحسنه وأطيبه وأعتقه.

مفهوم الحرية في الإسلام:

يخلص لنا من هذا: أن الإنسان الحرّ هو غير المملوك، وغير المقيد بأي قيد مادي، وهو الخالص في إنسانيته، لا تشوبها شائبة. وهو الكريم في خلقه، الشريف في سلوكه.

والحرية بهذا المعنى الواسع قد قررها الإسلام أتم تقرير وأوضحه ونستطيع تصنيفها إلى الأصناف الآتية:

حرية المعتقد:

إن أبرز مظهر من مظاهر حرية الإنسان حريته فيما يدين من دين. ذلك لأن الدين عقيدة تستقر في القلب، ويرضى عنها العقل، أو يجب أن يطمئن إليها العقل، فكل جو لا تكتمل فيه حرية العقيدة يعتبر عدواناً على الحرية الإنسانية للإنسان ومن ثم فهو عدوان على الإنسان نفسه، أشد خطراً من العدوان على جسمه أو ماله. والإسلام قرر حق الحرية الدينية على أسس تكفل قيام هذه الحرية ووجودها فعلاً لا دعوى فهو:

١. يحرر العقل من الخرافات والأوهام ليبسّر للعقل أن يختار العقيدة الصالحة.

٢. يُحرر الإنسان من سلطان التقليد بغير تدبّر وينهاه عن اتباع آباءه وقومه في دينهم دون أن يفكر في شأن هذا الدين الذي اتبعوه تفكير الأحرار المستقلين قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا ۖ أُولَٰئِكَ كَانُوا ءَابَآؤَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۚ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ۝﴾ (البقرة: ١٧٠). ولذلك اختلف العلماء في إيمان المقلد

لأبويه في عقيدتهما هل ينجيهم ذلك الإيمان أم لا؟

٣. يطلب إلى الإنسان أن يستعمل عقله، ويتأمل في خلق السموات والأرض وفي نفسه، وفي كل ما يحيط به من الكون، وفي دلائل نبوة الرسول الذي يتبعه. ولذا لا نجد القرآن يكتفي بأن يقول للناس: آمنوا بالله ورسوله. بل يطلب منهم أن يستدلوا بعقولهم على وجود الله ووحدانيته، وأن يستدلوا بالتفكير والتدبر في نبوة الرسول ﷺ ومعجزة القرآن الكريم

الناطقة بصدقه، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ﴾ (العنكبوت: ٥٠ - ٥١).

٤. يُعلن حرية الإنسان في عقيدته من حيث يمنع الإكراه عليها، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، وقال: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩). ولم يُعط أحدٌ حق إكراه إنسان على عقيدته وفي ذلك يقول القرآن الكريم للرسول ﷺ ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ (الغاشية ٢١-٢٢).

٥. نتيجة للمبدأ السابق أجمع الفقهاء على أن غير المسلمين من أهل الكتب السماوية يُتركون وما يدينون ولا يُجبرون على أحكام شريعتنا فيما لهم فيه تشريع خاص، سيما فيما يتعلق بأحكام الأحوال الشخصية. وقد كان تاريخ الإسلام منفذاً لهذا المبدأ في جميع عصوره بدون استثناء.

الحرية الشخصية وضمان الكرامة:

الحرية الشخصية تعنى حرية الفرد في الحركة والإقامة والتنقل، والخروج من الدولة والعودة إليها، وحماية شخصه من أي اعتداء، وعدم جواز القبض عليه أو معاقبته أو حبسه إلا بمقتضى القانون. والحرية الشخصية بهذا المعنى وبأوسع منه مضمونة للفرد في الدولة الإسلامية. لأن الاعتداء عليها ظلم، والإسلام يحرم الظلم مطلقاً.

أمّا حرية الفرد في التنقل فالقرآن الكريم أباح التنقل ودعا إليه، لاعتبار الرزق والاكتساب، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ

كَانَ عَقِبَهُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿يوسف: ١٠٩﴾. وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۚ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (الملك: ١٥).

وما أباحه الله تعالى أباحته الدولة الإسلامية ومن ثم فهي تضمن للفرد حريته في التنقل، إلا إذا وجدت ضرورة تقتضي تقييد هذا الحق بالنسبة لبعض الأفراد. كما كان يفعله الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في منع بعض كبار الصحابة من الخروج من المدينة ليستعين بآرائهم ومشورتهم.

والحرية الشخصية لغير المسلم مضمونة لأن القاعدة التي قررها الفقهاء هي: "لهم مالنا وعليهم ما علينا" وأنهم كما يقول الإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - "إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا". والحق أن غير المسلم ظفر بقسط كبير جداً من رعاية الشريعة وحماية الدولة. ففي الحديث "من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة" وعلى ضوء الوصايا النبوية لغير المسلم جاءت أقوال الفقهاء صريحة في وجوب تأمين الحماية لهم وحرمة إيذائهم يقول الفقيه القرافي: "فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك، فقد ضيع ذمة الله وذمة رسوله ﷺ، وذمة دين الإسلام".

حماية الدولة لكرامة الفرد وعزته:

ولا تقف حماية الدولة للفرد عند حد حمايته من الاعتداء على حياته وجسمه، بل تمتد إلى حماية كرامته وعزته من الإهانة والإذلال، فلا تذله هي ولا تسمح بإذلاله، لأن المسلم يحب أن يكون عزيزاً، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: ٨). فلا خير في الفرد الذليل المهين، ولن يصلح لحمل رسالة الإسلام إلا الحرّ العزيز الكريم، ومن ثم فإن الدولة تربي في المسلم معاني العزة كما أرادها الله، وتمنع كل ما يتلها أو يمسها،

فالإمام عمر بن الخطاب كان يقول لولاته: " لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ".
ويأمرهم بالحضور في موسم الحج، فإذا ما اجتمعوا خطب في الناس وقال
لهم: " أيها الناس إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم، ولا من
أموالكم، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسموا فيئكم بينكم، فمن فعل به غير
ذلك فليقم ".

وحتى إذا قصرت الدولة في واجبها في رعاية كرامة الفرد وعزته، فإن
المسلم يتمرد على كل إذلال واستعباد، فإن عقيدته تأبى عليه كل مذلة ومهانة،
إنها تشده إلى الله فلا يرى عظيماً يخشاه ويذل له ويرضى بالعبودية له إلا هذا
الرب العظيم.

فكل ما سواه عبد منقاد إليه، ولا يستحق أن يذل له أو يخاف منه، فقد
أسلم المسلم أمره لله، وأخلص العبودية له، فلن يكون عبداً لغيره، والمفروض
في الدولة الإسلامية أنها تمكن الفرد من العيش وفق ما تقتضي به عقيدته
الإسلامية، وعقيدته هذه تقضي بأن يكون عزيزاً لا مهيناً، ومن ثم فهي جد
حريصة على عزته وكرامته.

كفالة الحرية السياسية:

الحرية السياسية جزء من الحرية الإنسانية في نظر الإسلام وتتجلى في الأمور الرئيسة الآتية:

١. حرية اختيار رئيس الدولة فإنَّ أهل الحلّ والعقد في الأمة هم الذين يتولون اختياره، فإذا اتفقوا أو أكثرهم على شخص منهم بايعوه على السمع والطاعة والنصرة، ثم يتبعهم الجمهور في المبايعة، ويكون بذلك رئيساً شرعياً للدولة، وهكذا تمت مبايعة أبى بكر - رضي الله عنه - بالخلافة، وكذلك بيعة بقية أمراء المؤمنين الآخرين بقريب من هذا الشكل.

٢. حرية إبداء الرأي الشورى لرئيس الدولة، فإنَّه مطلوب من الحاكم أن يستشير من هو أهل للشورى عملاً بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

والشورى مظهر الحكم في النظام الإسلامي كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: ٣٨).

وقد طبق ذلك رسول الله ﷺ في حياته السياسية والحربية. كما هو معلوم في معركة بدر وأسراها.

٣. حرية نصح الحاكم في حدود الأدب الإسلامي والمصلحة العامة (ولا يعني ذلك تأليب العامة على الحاكم ولا الخروج عليه بأي شكل كان، حفاظاً على وحدة المسلمين وجمع كلمتهم)، فإنَّ لكل مواطن أن يُبدي رأيه في تصرفات الحاكم وأول من ضرب المثل لهذا أبو بكر - رضي الله عنه - في خطبته الأولى بعد الخلافة إذ قال: "إن رأيتُموني على حقّ

فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فسدّدوني". ويتجلى هذا المبدأ واضحاً في تصرفات الخليفة الثاني عمر - رضي الله عنه - واستماعه إلى رأي الشعب في تصرفاته. وإلى ردهم عليه بعض آرائه.

٤. حرية التظلم إلى رئيس الدولة من تصرفات الولاة والوزراء، وقد كان عمر يُرسل إلى ولاته أن يجتمع بهم في موسم الحج، وينادي في الناس: من كانت له مظلمة على أحد الولاة فليتقدم بالشكوى منه، وكان يستمع إلى كل شكوى. وذلك مما استفاد وعُرف في التاريخ.

٥. حرية رفض طاعة الحاكم إذا أمر بمعصية، والأصل في هذا قول الرسول ﷺ: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق).

كفالة حرية الكسب:

حين قرر الإسلام لكل إنسان حق الحياة وغيره من الحقوق السابقة فقد قرر أن ما في الكون مسخر للناس جميعاً، فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (البقرة: ١٣) وهو بذلك يقرر لكل إنسان حق الامتلاك الفردي وقال تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ (النساء: ٣٢) وأهم وسائل التملك العمل لقوله ﷺ: (أطيب الكسب عمل الرجل بيده) أخرجه ابن ماجه. ويبيح الإسلام التملك عن طريقين رئيسيين:

أ) عن طريق الهبة والوصية والإرث مما لا سعي للإنسان فيه وهو طريق مشروع للتملك في جميع الشرائع السماوية.

ب) عن طريق السعي والاكتساب، والإسلام يبيح كل طريق يسلكه الإنسان للتملك إلا ما كان عن الطرق التالية:

١. الظلم: ولذا حرم الإسلام الربا والقمار والاحتكار والغصب والسرقة وما أشبه ذلك.

٢. الغش: ولذا حرم الإسلام التغرير عند البيع، كما حرم إخفاء العيب في السلعة والكذب في رأس المال وغير ذلك من البيوع والعقود المحرمة.

٣. الإضرار سواء كان إضراراً بالفرد أو بالمجتمع أو بكيان الدولة العام، ولذلك حرم الإسلام أجر البغى والاتجار بالخمير والاتجار مع العدو وهكذا.

فإذا جمع الإنسان المال من الطريق المشروع وابتعد عن الطريق المحرمة وانفق منه باعتدال، كان ما بقي منه في يده مصوناً تحميه الدولة وقوانينها. وعلى المجتمع أن يحترم ملكيته لذلك المال قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ (البقرة: ١٨٨) ولا تمسه الدولة إلاّ لحق الشعب وضرورات المجتمع.

تدريب:

١. من الذي يملك حق انتزاع حياة الآخرين ولماذا؟
٢. ما أهم الضوابط التي وضعت لحماية الإنسان؟
٣. ناقش هذه العبارات:
أ- الحياة حق ممنوح.
ب- الحرية الدينية تحرر العقل من الأوهام والخرافات.
٤. ما معنى الحرية الفردية؟
٥. من المسؤول عن حماية الحرية الدينية؟
٦. ما مظاهر الحرية السياسية؟ اذكر ضوابط الملكية الفردية.
٧. لماذا دعا الإسلام لحرية الكسب؟

رقم الإيداع: 2008|734